المحاضرة السادسة

اللغة العربية
في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان
دراسة تحليلية ونقد

الأستاذ الدكتور سالم المعوش

– أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، الفرع الخامس– صيدا، لبنان الجنوبي

– أستاذ في المعهد الجامعي للدراسات الإسلامية– بيروت، لبنان

الثلاثاء 32 ربيع الآخرة 1424هـ- 24 حزيران 2003م

لبنان والاتصال:

إذا كانت اللغة هي الأداة الرئيسة للاتصال، فإنّ موقع لبنان منذ القدم ساعدها في عملية الانتشار والتواصل أيضاً مع العالم الخارجي.. وإن كان هذا البحث يسلّط الضوء على وضع اللغة العربية في الإعلام اللبناني، وإذا كانت الخصوصية في التحديد الأخير هي للبنان، فهذا لا يعني استعمالنا هذه المنطقة معزولة أو مفصولة عن محيطها القريب، عنيت به بلاد الشام، أو البعيد، عنيت به الوطن العربي برمّته، وهو يحمل المفهومين الخاص والعام للبعدين: المعنوي والمادي، كما يحمل ضمناً، محتويات الزمان والمكان منظوراً إليها بالحركة الدائمة والتغيير المستمر والتطوّر النوعي والكمّي على غير صعيد..

على الرغم من ذلك فقد امتاز لبنان بحكم موقعه الجغرافي، بميّزات جعلت منه وعاء فريداً للتبادل الإنساني عبر العصور، ليس أقلّها مرور الحضارات العديدة به واختلاف الثقافات عليه وتنامي الامتزاج العرقي فيه وإكسابه خصوصية حُملت على محامل مختلفة ليس آخرها الادعاء الثقافي.. الأمر الذي خلق قاعدة مادية لحريّة القول والتعبير تناوبت فيه اللغة العربية فصول الاقتراب والابتعاد منها حيناً والإقبال عليها حيناً آخر والافتئات عليها في أحيان كثيرة..

ولا تزال في الذاكرة معلومة تشير إلى الفينيقيين الذين استوطنوا لبنان، بعد هجرتهم من شبه الجزيرة العربية، ودورهم الريادي في معارك الاتصال الأولى بين البشر، لاسيما أوروبا وبالتحديد اليونان [1].. ولا تزال في الذاكرة أيضاً الجامعات القديمة التي أنشئت فيه منذ الرومان الذين أقاموا فيه كلّية للحقوق في بيروت،

تدمّرت بالزلزال الذي أصاب المنطقة.. وغير خفيّ ما حصل من تدفّق الإرساليات والثقافات المختلفة على بلاد الشرق إبّان النهضة [٢]، وقد كان نصيب لبنان منها وفيراً، حيث تعزّزت القاعدة المادية لثقافة متنوّعة حاولت أن تقيم لها في الزمان والمكان أسساً لا تزال آثارها إلى يومنا هذا.. أسهم البعض منها بتقويض أشياء من المتعارف بها في مجال تراجع اللغة العربية عن خطوطها الأمامية وسعي بعض الدراسات، التي تدّعي تطوير العربية، إلى خلق إشكاليات تشويشية أربكت الدارسين بما قدّمته من اقتراحات غير بنّاءة للدرس اللغوي والكتابة اللغوية والقول الشفوي، وأورثت قاعدة مشوّهة نتلمس آثارها بعمق في زمننا الراهن[٣]..

ولقد ولّد هذا التراث الاتصالي للبنان ثروة كبيرة في مجال الثقافة، ظهرت اللغة فيها ميداناً رحباً للاتجاهات التي تميّز بعضها بالجدّية والبعض الآخر بالعبث.. وهذا التراث الاتصالي، أسفر في الحقبة الأخيرة عن نمط من التعاطي اللغوي، ذهب بعيداً في أدائه الإعلامي إلى حدٍّ انهارت معه بعض الثوابت اللغوية، وحصل انزياح في هذا الأداء باتجاه تراجعي، يتنكب أساليب قديمة– جديدة مقصودة بغية تيسير إيصال الحقائق إلى الناس في أسرع وقت ممكن.. وكانت النتيجة أن انبثق تيار جديد في مجال الاتصال يخرج من اللغة الفصحى الأصيلة إلى اشتقاق أخرى بديلة، تحاول أن تتطبّع في دنيا قائمة بذاتها لاسيّما في التعبير الشفوي..

معنى الاتصال:

معروف أن الاتصال ضد الانفصال، وهو "اتحاد النهايات" [٤]، وكما أورده ابن منظور بتحدره من فعل اتّصل، وهو "وصل الشيء وصلاً وصلةً، والوصل ضد الهجران وخلاف الفصل. والاتصال هو الوُصلة أي ما اتصل بالشيء، ووصّله إليه تأتي بمعنى أوصله أي أنهاه إليه وأبلغه إيّاه" [٥].. والاتصال يقتضي وجود طرفين يتحرك أحدهما باتجاه الآخر إلى درجة التلامس المادي أو المعنوي.. ووصول الشيء، كالخبر مثلاً، يعني بلوغ غايته، وهو لا يتصل من غير تأثير وتأثّر وإحداث حالة ما.. وهو ما يعبّر عنه عادة بالمشاركة والتفاعل، وفي الفرنسية الفعل Communiquer (شارك) يعني الاتصال بين مجموعة أو بين اثنين يتقاسمان ويتشاركان إذ يتّصلان [٦].. والاتصال عموماً يبغي إلى إيصال فكرة في حقل من التواصل الحامل صفات عديدة من المتواصلين أنفسهم وفي ميادين مختلفة، ومنها الإعلام الذي يحمل تفاعلاً في حدوده الدنيا، أي الإخبار Information الذي يتمّ عموماً بين البشر وفي درجات متفاوتة، تعكس تبادل الاهتمامات الإنسانية.. وتغدو اللغة في هذا الاتصال أرقى وأنقى أنواعه بفضل ما يميّز الإنسان عن سواه.. وهذا يعني أن هناك أنواعاً أخرى من الاتصال كالبيولوجي الذي يتوسل غير الشفوي أيضاً، المرتبط بالغريزة، تلك الطاقة المحرّكة له التي تحوّله إلى معنى حسّي، تقوم به الحواس التي بدورها تصبح وسيلة تعبير تعتمد على الصوت والحركة الجسدية والإيماء والإشارة والتنفس واستعمال الجوارح عموماً.. الأمر الذي يذكّر بالتعبير السابق للغة الراقية التي معها تصبح الحالة الشعورية نظماً تتطور وتتحقق لغوياً [٧] في ميادين الحياة الواسعة التي تحتاج إلى اتصال، ولا تتم إلا بالكلمات الحقيقية التي يحدوها العقل فيسمي ويصوغ الدلالات[٨].. وتلك هي الطريق المؤدية إلى الثقافة حيث يصنع الإنسان تاريخه

الحضاري ولحظته البنائية وكونه الخاص أولاً والشامل ثانياً وفروع المكوّنات الذاتية والموضوعية في أمداء ينسجم معها وتكوّن تراثه ومخزونه المعرفي الذي يصبح سلوكاً[٩] في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ثالثاً، كما يعكس حالته النفسية، انطلاقاً من تركيبها والعوامل المؤثرة فيها وما تنطوي عليه النفس من رغبات وميول وحاجات وتوق إلى إيجاد العلاقة مع الآخرين وإيجاد التأثير النفسي والذهني في المتلقي، حيث تظهر أهمية الحركة باتجاهه، وهو الذي يتلقى كلاماً مرسلاً إليه مصوغاً بطريقة ما، يحمل تعقيداً أو تبسيطاً لحالات شعورية أو لا شعورية واعية أو لا واعية، القصد منها إحداث تواصل بين نوعين من الشخصيات وفق تركيبهما النفسي وغرضهما الإبلاغي والبلاغي.. فيغدو التواصل بهذا المعنى القدرة على التقرّب وإحداث الوصل والاتصال من دون فرض[١٠]، أو حدوث علاقة دائمة وشعورية، على الأقل، بين اثنين"[١١]

الاتصال والتطور:

ولم يقتصر الأمر في عملية الاتصال هذه على ملكات الإنسان الخاصة وجملة مكوّناته الفيزيولوجية والبسيكولوجية، بل حاول الإنسان تطويرها ضمن العالم الخارجي وفق تكييف استطاع به أن يضخّم موجوداته الخاصة، فبدل أن يكون صوته محدوداً أصبح بلا حدود، وبدل أن تنحصر رؤيته في مدى معيّن أباح لنفسه المشاهدة البعيدة التي تنقل عبر الأثير إلى أي بقعة في العالم.. وهكذا أحدث شبكات واسعة من الاتصال، الأمر الذي أوجد فلسفة اتصالية معينة استغرقت ما يزيد على القرن من الزمان حتى انتهى اليوم إلى كمّ هائل من الوسائل الاتصالية التي تركت الباب مفتوحاً لتقبّل أي تطوير أو اختراع..

ومن المفيد التذكير هنا، أنّ هذه الشبكات الاتصالية تتقاطع في الكثير من جوانبها لتقدم نماذج فريدة من الخدمات للأفراد والجماعات والدول، بل لتسهّل في

زمننا الأخير أساليب الهيمنة العالمية على الثقافة والخصوصيات والمحلّيات إنطلاقاً من سياسة المركز في نطاق العولمة.. وهو ما جعل العالم مشدوداً إلى اتجاهات شبه موحدة يتلقاها الإنسان وهو قابع في مكانه، تلتقي عنده جملة من الشبكات القائمة أصلاً على تلاقي السلكي واللاسلكي والأقمار الصناعية وتكنولوجيا التسجيل والترميز والهوائيات والصحون اللاقطة والبرامج والأجهزة المرتبطة بالمحتويات البرامجية. وهو ما جعل أيضاً هذا التلاقي يشكّل منظومة متكاملة عالمياً تربط الهاتف بالمعلومات بالصوت والصورة على السواء وتحقق شبكة الشبكات[١٢].. بل أخذت هذه الشبكات تتطور وفق الاحتياجات، وهو ما أدّى إلى طغيان الشكل الآلي على المحتوى والفكرة، وغلّف الأداء بغلاف واهٍ قوامه السرعة وايصال المعلومة بأيسر السبل وأسهلها.. وكان ذلك يتمّ على حساب الاتصال نفسه حيث كانت الآلة تأدية فورية تسقط من حسابها العامل الأساس وهو اللغة، الحامل الرئيس للمعنى في دقة ووضوح، وهو ما جعله يتراجع عن موقعه الأصيل، ويستعاض عنه بأداء آخر يقوم على تقزيم المعلومات وتكثيفها اعتماداً على قدرة الإنسان الذهنية والتخيلية لإيجاد دماغ إلكتروني فائق الإمكانية في معالجة أدقّ المشكلات.. وهذا انتقال بالبشر من مرحلة الاتصال المباشر فيما بينهم مشافهة وفق الأصول الآدمية، إلى مرحلة الآلة التي حلّت محلّهم أو اختزلت اتصالهم وحوّلته إلى شبهها أحياناً، من غير مشاعر وأحاسيس، يقتنص اللحظة ليؤدي ما يريده وبأسرع وقت ممن دون حسبان لخصوصية المتلقي وثقافته ونوعه وقومه وأساليب تعاطيه بالحياة، خصوصاً مميّزات لغته.. لا سيّما إذا عرفنا أنّ الإنسان المتلقي يتعلم 83% من خلال حاسة البصر، و 11% من خلال حاسة السمع، ويتذكر 20% مما يسمع، و 50% مما يسمعه ويراه [١٣].. وأنّ الكلمة المنطوقة هي العامل الرئيس في الاتصال، تنتقل من حيّز الكتابة إلى حيّز القول، وفي رحلتها تلك تفقد الكثير من سمات تكوّنها لتخرج مستجيبة لرغبات أو مهمّات

تقتضي منها الخروج من طبيعتها إلى طبيعة أخرى، فتنهار مدلولاتها لمصلحة الإعلام وما يبغيه أصحابه [١٤]، في دوّامة الآلات وتقنيتها المرمزة وتحليل هذه الرموز، الأمر الذي يجعل اللغة عرضة للتأثر باتجاهين: إمّا الإثراء والإغناء، وإمّا الموت التدريجي أو التحجيم النمطي، في عالم تحلّ فيه حضارات محلّ أخرى وثقافات تجتاح ثقافات وتتوسع لغات على حساب أخرى[١٥].

بين الإنباء والإخبار والاتصال:

ويبدو أن الأفعال: إتصل وأنبأ وأعلم وأخبر تحتلّ الحيّز الأكبر في ميدان الدراسات الإعلامية.. وهي على تقاربها في المعنى تتناوب الكثير من الجوانب فيما بينها فيما تتضمنه من أصول تهدف إلى إيجاد العلاقة بين اثنين أو أكثر.. فالاتصال تقنياً هو الطرائق والوسائل والقنوات والخطوط التي تربط مكاناً بآخر أو دائرة بأخرى بما فيها من مكوّنات تريد إيصالها إلى مكوّنات أخرى.. وهو أمر يحضر في كل حقبة تاريخية تعكس حالة حضارية معينة في مرحلة معينة تفرض اتصالاً معيناً.. بينما فعل أنبأ من المصدر الإنباء، ومن النبأ جمعها أنباء فيعني إيصال النبأ للآخر، والنبأ هو الخبر، وأنبأه يعني أخبره [١٦].. والخبر يكون موجزاً، وتجري عليه سلسلة تساؤلات تتضمن الإجابة على ماذا ومن ومتى وأين وكيف؟..أما فعل أعلم من علم يعلم إعلاماً، فهو بمعنى أطلع الآخرين على الخبر[١٧]..

اتصل وأنبأ وأخبر وأعلم، إذاً أفعال تنضوي تحت ما يسمى بالاتصال، والاتصال جزء من الإعلام وكذلك الإنباء والإخبار اللذان راجا في الإعلام واتخذا تسميتين عامّتين هما الأنباء والأخبار، فتقول نشرة الأخبار ونشرة الأنباء.. ونقول الإعلام اللبناني أو الأردني أو...

الاتصال والمعرفة:

وهذه المصطلحات جميعها تهدف إلى نقل المعرفة.. ولا إعلام من غير معرفة، وهي متنوّعة وتحتاج إلى صوغ لغويّ معيّن.. وإذا كان الخبر –المعرفة يأتي بعبارة سريعة وغير مصوغ بطريقة جيدة، فعلى الإعلام أن يقدّم هذا الصوغ بأسلوب تميّز هذا النحو من الإرسال كي يكون منسجماً مع المتلقين.. وتتفاوت درجة الاهتمام به لغوياً.. ولذلك كان على الإعلام أن يكون على أفضل أدائه. وهو ما شكّل محور أبحاث كثيرة تهدف إلى المراقبة والضبط والإشراف كي يبتعد من الخطأ وكي لا يتعرّض للنقد بغية الحفاظ على اللغة، لأنّ المهمة التي يتنكبها هي خطيرة، وهو يتصل بالجماهير المصغية إلى كل ما ينقله في الحقول جميعها[١٨]: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية والتعليمية والإعلانية والدعائية، وإقناع الآخرين بما يحمل من فوائد إليهم، حيث تغدو الشخصية الإعلامية ذات تأثير فعّال، وحيث تحلّ وسائل الإعلام محلّ العلاقات الشخصية ويحدث التعلّق المفرط بشخصيات الإعلام الوهمية [١٩].. وتتحوّل المعرفة إلى شكل معلومات تضيع بين المؤثرات العديدة المعتمدة في الإعلام، وتنتقل اللغة في رحلة طويلة حتى تأخذ شكلها الأخير المعروض بما يناسب الموقف، لا ما يناسبها في أحيان كثيرة[٢٠]..

بينما يرتسم دور الإعلام الجدّي في جملة وظائف ليس أقلّها التربية والتنشئة وإبراز الحقائق وتقديم الآراء والرسائل والتعليقات وخلق الحوافز وإدارة الحوار والنقاش وإنهاض العمل الثقافي والتعرّف إلى ما عند الآخرين.. بالإضافة إلى ما يمكن أن يقدّمه من تسلية وترفيه مفيدين بعيداً من التلفيق والتواطؤ مع المتلقي لخلق مساحات من الفراغ اللامجدي..

الاتصال واللغة:

أدّت اللغة، منذ القديم، الدور الاتصالي الرئيس في سياق التطوّر البشري والعلاقات الإنسانية.. وعلى الرغم من الضابية التي تغطي مسائل نشوء اللغات وتطورها، فإنّ من الواضح أنّها حملت في تكوّنها عدة مهمّات معرفية متشابكة إلى حدّ التعقيد.. إلا أنّ ذلك لم يمنع في الحديث عنها القول: إنّها فعل فزيولوجي لدفعها عدداً من أعضاء الجسم إلى العمل، كما أنّها فعل نفساني لأنها تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل، وهي فعل اجتماعي لأنها استجابة لحاجات الاتصال بين بني الإنسان[٢١]..

وفي أولى المبادرات الاتصالية نجد محاولة الإنسان خلق خطوطه الأولى عندما قام بمحاكاة أصوات الطبيعة، كما يذهب ابن جنّي [٢٢].. فكان بذلك يضع اللبنات الأولى لتعرّفه إلى العالم، ونقل هذا التعرّف إلى الآخرين: فكان اتصالاً مزدوجاً بالواقع الحيّ والآخر الجامد.. كما كان الخطوات الأولى نحو الاجتماعية وبالتالي اجتماعية اللسان [٢٣].. وهو ما أدّى إلى صنع تاريخ اللغة التي لم تولد وتنمو وتتطور إلا في أوساط اتصالية مختلفة، بسيطة حيناً ومعقدة حيناً آخر، تحمل من مزايا الإنسان ما تحمل في سياق انتقاله من مرحلة إلى أخرى..

وهذا التاريخ الاتصالي يقسّمه الدكتور عصام سليمان الموسى إلى ثلاث محطات إنسانية كبرى، أطلق عليها اسم "ثورات"، لما حملته من تغييرات على المستويات الإنسانية كلّها.. فالثورة الأولى هي اختراع الحروف التي قام بها الفينيقيون والثانية هي اختراع المطبعة والثالثة هي الثورة الإلكترونية[٢٤]..

اللغة والتشويه:

وربما كان هذا الكلام يشكّل منطلقاً مهماً للعديد من وجهات النظر اللغوية التي قدّمها بعض اللبنانيين في العصر الحديث لإيجاد قواسم مشتركة في دعوتهم التي تقول "باللبنانية"، انطلاقاً من الفينيقية نفسها، بغية الوصول إلى أبعاد وطنية وقومية وإنسانية شكّلت أرقاً شديداً في المجتمع اللبناني لا تزال آثاره إلى يومنا هذا.. وكأنّ الفينيقية بدَت لهؤلاء غير العربية في لحظة من لحظات تطورها، وكأنّ الفينيقيين ليسوا عرباً.. فإذا بالإنجاز الاتصالي الذي قام به الفينيقيون يتعرّض للتشويه، وصولاً إلى أغراض الهدف منها النيل من اللغة العربية والعروبة عموماً.. "لقد انتشر الحرف الأبجدي الصوتي، الذي تكونت ملامحه النهائية على أيدي الفينيقيين، سكان لبنان السابقين في جميع بلدان الحضارة الغربية، تمييزاً لها عن الشرق الآسيوي الذي يستخدم نظاماً مختلفاً للكتابة، كما في الصين واليابان" [٢٥]، وقد طوّر هذا الحرف في كل من بلاد العرب وبلاد الغرب، في شبه تلاق إنساني يستوعب المعرفة وينشر الرقيّ والتحضّر.. حتى تركزّت لغات البلدين في العصور المتأخرة .. بحيث أصبح لكل قومية لغتها التي تحفظ تاريخها الشفوي والكتابي.. ولا فائدة من إعادة القول بخصوصية فينيقية ولا بموت اللغة العربية لإحلال الحرف اللاتيني محلّ الحرف العربي وهو ما دعا إليه الشاعر اللبناني سعيد عقل[٢٦]..

إن التحدّي الأكبر لا يركن إلى مثل هذه الدعوات بقدر ما يركن إلى الدور الذي تؤدّيه لغة القوم، لغتهم الأصيلة التي سجلّت ما قالوه وأبدعوه في تاريخهم الطويل وما حملته من أسرار البناء، لأن الكلمة هي البناء، حيث في البدء كانت وإلى الآن تستمر.. وكما ورد في انجيل يوحنا:"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان الله، وكان الكلمة الله" [٢٧]، وقد "جعلت الكلمة معتمد الوحي وإيذاناً بولادة

الوجود"[٢٨] في الإسلام، وكانت "إقرأ" [٢٩]، الكلمة الأولى في النظام البنائي الأخير للكون وقد تمثل في القرآن الكريم.

اللغة الاتصالية والتطور:

وإذا كان الكلام، عموماً، هو إعادة انتاج اللغة في أثناء الاتصال، وإذا كان هذا الاتصال، بطبيعته، آنياً ومتجدداً ومتغيراً بحسب درجات التطور وآفاقه، فينبغي لهذا الكلام– اللغة– الإعلام، الاتصال، أن يكون على مستوى هذا التطور، وأن يكون نموّه باتجاه التقدم، وهذا لا يعني في حال من الأحوال إماتة اللغة أو تراجعها أو تقهقرها أو تراجعها عن خطوطها الأولى..

وإذا كان الكلام– اللغة – الاتصال، لا يتقصر على الكلمات وحسب، بل تتضافر جملة من الأداءات لإخراجه متكاملاً كالحركة الخارجية للجسم وبما تعارف به من الجوارح وما يرافقه من تعابير حركية في الوجه واليدين والشفاه.. غير منطوقة، فإن ذلك كلّه لغة إيصالية واتصالية.. والبحث فيها هو الأساس للوصول إلى نتائج تعكس مدى الرقيّ والتطوّر لشعب ما..

وإذا كان التغيير يصيب الكلمة ومدلولها وانتقالها واتساعها [٣٠]، فمن الأفضل أن يكون إلى الأفضل وليس إلى الأسوأ.. وخير للغة أن يُتحدث بها ويكتب بها تاريخ الأفكار والإبداعات من أن تظل ميتة أو يُسعى إلى إماتتها.. لأنه من الواضح أن المرء يتأثّر بأجواء لغته التي اعتاد عليها أكثر من تأثّره بأجواء لغة أخرى مهما بلغت درجة اتقانه لها.. وكي تبدو شخصيته متزّنة ووقورة ينبغي أن تكون لغته كذلك.. وبقدر ما تكون اللغة – الكلام – الاتصال... قوياً يكون التأثير أكثر، لأن مادة " ك و ل و م" أي كلم تدل على القوة والشدّة ومنها

كَلَمَ (جرح) بحسب ابن جنّي[٣١].. وبقدر ما تكون اللغة – الكلام – الاتصال قوياً يكون لصاحبها سلطة وتسلّطاً وأثراً في المتلقين[٣٢]..

الكلمة والسلطة:

وهكذا تبدو العلاقة القوية بين الكلمة والسلطة.. ولذلك كان الاهتمام بالكلمة التي تكون قاطعة كحدّ السيف.. لا سيما إذا كانت بمعنى الحجة بحسب قوله تعالى:"وما كان لي عليكم من سلطان" [٣٣]. وسلطة الله، سبحانه وتعالى في الإسلام هي الكلمة الحقّ وهي القرآن كلّه.. وعليه فإنّ الكلمة القوية ينبغي أن تحمل سلطة الحقّ.. وهذا لا يتحقق إلا ضمن شروط خاصة تبدأ بالمقدّس وتنتهي باحترام تطبيقه.. وسلطة الحقّ لا تتجسّد إلا في صحيح القول، وكي يكون كذلك ينبغي أن يتخلّى عن النقص الأدائي في العودة دائماً إلى الأصول.. لذلك كان التمكّن والإجادة والتبحر... في اللغة يمنح القائل والكاتب قوة خفية، أو قل سلطة البيان السليم الذي يقف حائلاً دون الانزياح النطقي إلى سلالات لغوية نشأت تشويهاً للسليم متمثلاً في العالم العربي عموماً، ولبنان خصوصاً، بانزياح آخر إلى العامية يراهن على تعبير جديد قوامه تبديل مخارج الأصوات وأماكنها وارتخاء في مواضع الأداء الصوتي، وهو ما يفقد اللغة، ليس سلطتها وحسب، بل أصولها وجمالها وصحتها وسلامة نبرتها..

اللغة والمحليات اللبنانية:

في هذا المجال، مجال الانزياح النطقي، تؤخذ بالحسبان تأثيرات المحلّيات.. فنحن في العالم العربي أمام أعداد هائلة من هذه المحلّيات [٣٤]، تخرج من كونها لهجة قطر يختلف في انزياحه النطقي إلى العامية عن قطر آخر، إلى محلّيات أكثر ضيقاً. لا يكفي مثلاً أن نتحدّث في سوريا عن لهجة الدمشقيين، بل هناك

لهجة أهالي حلب وحوران والسويداء والمناطق الأخرى.. وكذلك في لبنان، فإنّ النطق، لا سيّما العامّي منه، يختلف من منطقة إلى أخرى.. ففي الشمال ميل إلى التضخيم بينما في الجنوب إلى الإمالة، وفي البقاع أيضاً تجد لهجة مختلفة تميل إلى الإطالة، وفي الجبل إلى الفخامة.. حتى في الجبل نفسه تجد عدة لهجات.. أما في بيروت فإن لهجة العاصمة تتجه إلى أن تكون ذوباناً لمجمل هذه اللهجات مع الاحتفاظ بسمات اللهجة البيروتية.. وكذلك في صيدا التي تمتاز لهجتها بالإطالة والمدّ وتمطيط الحروف. إلا أن ما يبدر من ظواهر فنية ومواقف إعلامية، فإن الصيغة تكاد تكون بدورها إذابة لهذه اللهجات وتوفيقاً يعوّل على اللهجة المفهومة، لا سيما عند اللجوء إلى العامية، وما أكثره في الإذاعات المرئية والمسموعة والفضائيات وفي الأعمال الفنية التي تحاول أن تمتص هذه اللهجات وتعتمد العام والمتكرر والمفهوم فيها.. وأقرب مثال على ذلك ما نجده في الانتاج الفنّي للرحابنة في لبنان سواء أكان في المسرح أم الغناء أم المسرح الغنائي أم الشعر[٣٥]..

ويبدو أن هذه الإذابة لا تقتصر على الإعلام أو الفن، بل إنّ هناك محاولة من المثقفين أنفسهم لإيجاد لهجة خاصة، أطلق عليه اسم "لغة المثقفين"، والأمر نفسه نجده عند السياسيين اللبنانيين الذين باتوا يمثّلون نهجاً لغوياً خاصاً يقيم توازناً مفهوماً بين اللهجات اللبنانية كافة..

تنوّع الاتصال وقوّته:

في لبنان، كما في دول العالم، تتخذ لغة الاتصال أشكالاً متعددة وتتجلى أكثر ما تتجلى في الإذاعتين المرئية والمسموعة اللتين تطورتا من المحلّي إلى العالمي مع دخول الفضائيات.. ويحتل الحاسوب والانترنت مكاناً مميّزاً.. بالإضافة إلى وسائل الاتصال الأخرى الهاتف والسينما والتلغراف والبريد الإلكتروني

والمصوّر وصولاً إلى الصحافة والكتب.. ويتخذ الحوار سمات عديدة: إما مباشراً بين شخصين وإمّا غير مباشر.. وقد يكون مناقشة بين شخصين أو بين شخص وعدة أشخاص أو بين أشخاص معينين وآخرين.. وقد يكون الاتصال على شكل رسائل أو خطابات أو برامج تثقيفية أو تمثيلية..

وهذه الوسائل تعدّ قاصرة ما لم تتمتّع بالقوّة الشرعية أو غير الشرعية.. والمقصود بالشرعية تلك التي تستمدّ قوتها من القرار الرسمي اللبناني، وهو الترخيص الممنوح من الدولة والذي ترعاه القوانين وتحميه وتحدّ أطره ونوعه وتقرّ برامجه وأحياناً أساليب أدائه..

وقد يكون غير شرعيّ أي من غير قرار رسمي.. وقد نشأ هذا النوع في ظلّ الفوضى والنزاعات والحروب..

وغالباً ما يستمدّ هذا الاتصال قوّته من الدولة نفسها أو من تمثيله لحزب أو طائفة أو تجمّع نقابيّ أو مهني أو ديني أو اجتماعي أو ثقافي أو سياسي أو اقتصادي..

يمارس الإعلام عند ذلك سلطة خاصة، لا تتأتى من المتكلم (المرسل) وحسب، بل من الموقع المؤسساتي نفسه.. وهو الذي يمنح المرسل حقّ الإرسال، فيصبح كلامه، بالنسبة له ولجمهوره، الحقّ بعينه.. وبالطبع هو محصور في السلطة التي أوجدته، له أن يتصرّف وفق مشيئته، وأن يصوغ اتصاله وفق اللغة التي تناسبه.. وغالباً ما تكون المعرفة هي مدار بحثه، وهي تتلوّن بألوان المرسلين وتحمل ثقافتهم وقدراتهم وعلاقاتهم كما تتوجّه إلى جمهور معيّن له أيضاً مواصفاته، وهو يقبل ما يتلقّاه على أنّه الحقيقة.. لذلك تتنوّع الحقائق.. كلٌّ يراها

من وجهة نظره.. ولذلك تتنوّع السلطة الإعلامية بحسب المواقع الاتصالية وتبعيتها وقدرتها ونوع معارفها واختصاصها والهدف الذي أنشئت لأجله..

وهذه السلطة الاتصالية تتكّب أمرين أساسيين: سلطة السرّ وسلطة العلن.. فإذا كان الثاني معروضاً دائماً أمام الناس، فالأول يحتفظ بشيء من الإبهام والغموض للإيهام وإثارة التساؤل الدائم، بغية خلق أجواء تجعل المتلقي متعلقاً بسرّ ما أو مجهول ما لا يعرفه ويأمل أن يعرفه.. وتمثّل اللغة في سلطة السرّ والعلن الجوهر.. هي القادرة على الأداء وهي التي تستعمل لممارسة السلطة مهما كان نوعها.. والخطورة تكمن في كيفية اختيار هذه اللغة لتكون الكلمة حقّاً، و"لا توجد اللغة – السلطة إلا في بلاغتها ونموّها وتركيبها وأسرار قائلها والثقة به وفي لباسها أيضاً"(٣٦).

اللغة وسلطة المتلقي في لبنان:

يضاف إلى هاتين السلطتين واحدة ثالثة هي للمتلقي الذي يمارس في تلقّيه قوّة يحسب لها المرسل ألف حساب.. إذ لا اتصال من غير متلقٍ ولا إيصال لمن لا نوصل إليه شيئاً.. والمتلقّي اللبناني بالغ التعقيد بحسب الواقع اللبناني القائم على فسيفساء سياسية تحمل معها فسيفساء أخرى في حقول الوعي واختلاف المواقف والمصادر وتنوّع الثقافات وارتفاع نسبة الوعي واختلاف الثقافات نفسها...إلخ الأمر الذي يقسّم الناس إلى مصدّقين وغير مصدّقين أو واثقين مما يسمعونه أو غير واثقين تبعاً لانتماءاتهم، في زمن تحوّل فيه المتلقي إلى "قارئ منتج للنص في الوقت نفسه، بل تنتهك اللغة وتتفجرّ لتبوح بمكنوناتها بما يضفيه عليها من إمكانات تأويلية"(٣٧).

وبين المرسل والمتلقي الإعلاميين غير رابطة.. تبدأ بالمحسوس لتنتهي بالمتخيّل.. وهذا الأخير يفترض وجود صورة أو صور تحمل من التأثيرات ما يقتضي التناغم النفسي بين مرسل الصورة ومتلقيها، سواء أكان الإعلام مكتوباً أم شفوياً، مسموعاً أم مرئياً.. ففي الصورة يتجلى الانسجام.. و الحرص على وضعية المتلقي، في هذا المجال يخلق مزيداً من التفاعل.. وفي هذا كلّه تؤدي اللغة الدور الأكثر أهمية، لاسيما إذا عرفنا أنّها صورة للفكر.. وهذا يعكس المستوى المعرفي بوجوهه كافة.. لذلك كانت الصورة الإعلامية في لبنان تتراوح بين الجدّية واللامبالاة، وبين الغثّ والسمين، وبين الهبوط والتكامل والإسفاف والرقيّ.. وهو أمر منظور إليه في كثرة الوسائل الإعلامية في لبنان، خصوصاً مع بدايات الحرب الأهلية والظروف الإقليمية المحيطة.. والحاجة الملحة إلى ملء أفواه الإعلاميين بالقول، أيّ قول.. وفي تنوّع المتلقي الانتمائي والثقافي والمعرفي عموماً.

الكتابة والإعلام في لبنان:

وإذا كانت الكتابة، عموماً، وقراءتها حاجة من حاجات الإعلام، فإنّ لبنان ظلّ منذ أمد طويل مركز ضخّ كتابي لم يقتصر على إلقاء المعلومات في بواطن الكتب، بل امتدّت الكتابة، بغزارتها، إلى وسائل الإعلام وغزتها الأقلام.. وهي كتابة متنوّعة، تصدر، أحياناً عن مجموعات تنتمي إلى هذا التيار أو ذاك في السلك السياسي والاجتماعي والثقافي في لبنان.. وإذا حسبنا أن لبنان كان موطناً لاتجاهات لغوية متعددة أكثرها أهمية اثنان: الداعي للعربية الفصحى الأصيلة والسليمة والداعي إلى إحلال العامية محلّ الفصحى.. بالإضافة إلى الداعي إلى تغيير الحرف العربي وإبداله باللاتيني وهو أسوأ أنواع الاتجاهات [٣٨]، لأنّ فيه يكمن قتل اللغة العربية مباشرة دون سابق إنذار، لاسيّما في تمثّله بوسيلة اتصالية

(مجلة) تصدر عن شاعر له مكانته الفنّية.. إذا حسبنا ذلك، فإننا نقف أمام حقيقة اتصالية بالغة الخطورة بخاصة أنّ معظم هؤلاء الكتّاب كانوا فرسان الكلام والإعلام إبّان مرحلة طويلة من الزمن..

وفي هذا الكمّ نعثر على انزياح خاص في ميدان التعاطي اللغوي، حيث تفقد اللغة، في بعض الأحيان، سحرها الأخّاذ وخصوصيتها الرصينة والمتوارثة جيلاً بعد جيل، وتنتقل من حالة الكمال إلى نوع من الابتذال والتجريب لاقتراحات متداولة للاعتداء على أصولها وجمالياتها وقواعدها ومذاهبها التعبيرية الراقية، بداعي حرية الكاتب حيناً والتطور حيناً آخر..

ذلك كلّه، أوجد قاعدة، شبه مقصودة التشكّل، تنهال على سلطة اللغة العربية وتحاول إيجاد البدائل لها باستحداث سلطات هامشية التأثير محدودة الخطوات.. وسلطة العربية، بالطبع، متنوّعة مصادر القوة، وفي طليعتها القرآن الكريم، الكتاب السماوي المقدّس، المنزل من الله.. فيه تنعكس حقائق أبدية.. وأولها اللغة المفضلة من الله سبحانه وتعالى: "إنّا أنزلناه قرآناً عربياً".. وثانيها سعة اللغة وقدرتها على التعبير وتميّزها بسعة الاشتقاق والترادف والتوليد وسلامة تقعيدها.. وثالثها: تجربتها الطويلة وموقعها بين الشعوب منذ القديم، الأمر الذي جعل البعض يقول: "إنّها أمّ اللغات" [٣٩]. وهذا ما جعل البعض أيضاً، يحسب أن للغة العربية سلطة خاصة هي سلطة النحو [٤٠] والبعض الآخر يحاول أن يعدّل إيجاباً في هذه السلطة من طريق الدعوة إلى تطوير اللغة (الشيخ الدكتور عبدالله العلايلي)[٤١]، أو يعدّل سلباً في الانتقاص من قدرها وتبديلها بالعامية وتغليب الشعبية عليها وإسقاط النحو كلياً منها[٤٢]..

الفصحى والبدائل المميتة:

وإذا كانت هذه الدعوات إلى الاهتمام بلغة الاتصال– الإعلام– الكتابة– القول، تنطلق إمّا من نوايا حسنة وإمّا من نوايا سيئة، فإنّ المشكلة تتعاظم في نطاق الطروحات اللبنانية التي بلغ الحدّ ببعضها إلى إلغاء اللغة العربية كليّاً.. هذه الدعوات، وإن اضمحلّ تأثيرها، إلا أن آثارها لا تزال باقية فيما نشهده اليوم من مأساة استعمال اللغة تحقيقاً لها أو فراراً منها.. ولا تزال دعوة أمين الشميّل تجد أصداءها عند كثير من اللبنانيين.. وهو الذي دعا إلى التخلّي كلياً عن اللغة العربية فصحى أو عامية وإحلال لغة أجنبية محلّها تعبّر عن الهوية والثقافة، لأن اللغة العربية مصيرها الموت(٤٣).. كما ذهب سواه إلى أنّ العرب ليسوا أمة واحدة، وينطبق هذا على كثير من اللبنانيين الذين يجب ألا يتكلموا لغة واحدة لأنهم لا ينتمون إلى هذه الأمة(٤٤).. وهذا ما وجدنا صداه لدى أحد الشعراء اللبنانيين، يعلنه من منبر أحد الوسائل الإعلامية اللبنانية بقوله:"إنّ اللغة العربية ميّتة فكيف لنا أن نعبّر بالميت عن الحيّ، فالأفضل أن نعبّر بالعامية لأنها حيّة"(٤٥).

لغة المثقفين أو الصالونات أو اللغة الثالثة:

ومن الدعوات التي نجد انعكاسها في الإعلام اللبناني تلك المحاولات التي اتخذت سبيلاً إلى إيجاد حلول وسط، أو إلى غربلة الآراء والخروج منها بموقف، في اعتقاد أصحابه، أنه يرضي الجميع.. وبناءً عليه فإنّ هناك لغة، إن شئت سمّها لغة "المثقفين" أو "المتأدبين" أو "النوادي والجمعيات" أو "الصالونات".. وهذه التسميات نجدها بكثافة عند أنيس فريحة في كتابه نحو عربية ميسّرة(٤٦)، وفي رأيه أنّها اللهجة العربية المحكية المشتركة" (٤٧)، وهي التي تولدت من المدرسة والصحافة والإذاعة والسياحة والاصطياف والتجارة والتقارب السياسي والتعاون الاجتماعي(٤٨).

والمتأمل في هذه اللهجة– اللغة، كما يطلق عليها فريحة، يجد أنّها خلوٌّ من الإعراب تقع بين العامية والفصحى.. وهي التي تستعمل على لسان المثقفين والسياسيين، كما يستعملها بعض القصّاصين والروائيين والمسرحيين العرب.. وهي التي تعتمد على تسكين أواخر الكلمات.

وفي الحقيقة، هي هرب من الفصحى والعامية باتجاه ثالث ينحو نحواً خاصّاً لا يخلو من الافتئات على العربية الأصيلة، بل يستمرّ في مناصبتها العداء، إلى خلق كيانات تنطق بكلام مصرٍّ على إبعاد الفصحى والنيل من تراث العربية واتهامها بالقصور وعدم الإيفاء بالغرض المطلوب أمام المستجدات العصرية، هذه العصرية التي تمتدّ وتمتدّ إلى ما لا نهاية منذ ثلاثة قرون..

وتكمن خطورتها في أنها لا تقتصر على قطر عربي واحد بل تشمل أقطاراً عربية أخرى، في مقدّمتها لبنان ومصر قطرا الانتشار الإعلامي الواسع. نجد في كتاب "غرائب اللهجة اللبنانية السورية"[٤٩] للأب روفائيل نخلة اليسوعي، مزيداً من المسوّغات للانحراف باتجاه هذه اللهجة، بل مزيداً من الامعان في تبني العامية، وإيراد الكثير من الألفاظ التي يعدّها حيّة وتحلّ محل الفصحى..

وهو الأمر الذي يلقى آذاناً صاغية في الإعلام اللبناني برمّته فينحو هذا النحو الخطير فيما يقدّمه من برامج على مختلف أنواعها.. وهي ظاهرة تتفشّى بسرعة إلى درجة أنّنا لا نجد إلا القليل من البرامج التي لا زالت تتنكب الفصحى وهي بدورها مشوّهة وغير سليمة..

وما أن أشيع اقتراح استعمال اللغة الثالثة في ميدان الكتابة، لا سيّما الأدبية، حتى وجد استجابة لدى ثلّة من اللبنانيين، فوجدوا فيه متنفساً تعبيرياً يخرج هذه المرة من مصر وعلى يد كاتب كبير هو توفيق الحكيم.. وهي أسلوب "يخلط

ما بين العامية والفصحى، لا يجافي قواعد الفصحى ويستجيب في الوقت نفسه لما يمكن أن ينطق به الأشخاص ولا ينافي طبائعهم ولا جوّ حياتهم.. لغة سليمة يفهمها كل جيل وكل قطر وكل إقليم، يمكن أن تجري على الألسنة في محيطها، قد يبدو لأول وهلة لقارئها أنّها مكتوبة بالعامية، ولكن إذا أعاد قراءتها طبقاً لقواعد الفصحى، فإنّه يجدها منطبقة على قدر الإمكان.."[٥٠].

وهي خطوة بدأها مارون النقاش في مسرحيته الأولى "البخيل" (1847)[٥١]، وتكرّست في المؤتمر الذي عقد في هولندة في العام 1931، وهو الذي شارك فيه محمود تيمور ببحث بعنوان "النزاع بين الفصحى والعامية في الأدب العربي الحديث"[٥٢].

وإلى مثل تلك الدعوة دعا الشاعر يوسف الخال في اقتراحه إيجاد "اللغة العربية الحديثة" التي كان شعارها: اقرأ كما تتكلم" [٥٣] وإحلال اللغة المحكية محلّ الفصحى[٥٤]. انطلاقاً من مفهوم خاص للحداثة تبنّته مجلة "شعر" التي كانت تصدر في لبنان.. إلا أنّ هذه الدعوة، وإن لم تصمد طويلاً، لكنّها تركت آثارها في مجال الإعلام اللبناني ولا تزال آثارها موجودة بقوة ، تشكّل أرقاً ومعاناة وخوفاً على العربية التي لا ينفك التنظير يدلي بدلوه حولها ليوجد لغة "للتخاطب الثقافي" و "الإعلام الإخباري" و "الإعلان التجاري"، في شبه اعتراف بمستويات ضمن اللغة الواحدة تعطي لكلّ نوع من التعبير حقّه وصولاً إلى اللغة الراقية التي نجدها في القرآن الكريم[٥٥].. على ذلك، وبحسب رأي أحمد حاطوم، فإنّ لغة الصحافة هي اللغة الثالثة المنشودة، وهي الحل الوسط بين لغة التخاطب واللغة الأدبية، حيث تغدو اللغة الإعلامية التي يجدّ في البحث عنها توفيقاً على أن يكون مستواها فوق مستوى الصحافة وتحت مستوى لغة الكتابة الأدبية[٥٦]..

هكذا يرى الباحث، حاطوم، أعداداً كبيرة من الاقتراحات التي حاولت تطوير اللغة العربية متنكّبة الإيجابي والسلبي، صادرة عن فئات من الناس مختلفي المشارب والمذاهب، كلّ يعمل بحسب توجّهه وثقافته وميوله ونواياه..

القاعدة اللغوية الإعلامية في لبنان:

ومن هذا وذاك تولدت القاعدة الإعلامية في لبنان، وباتت أمراً واقعاً استفاد من هذه الاقتراحات التي جانبت الصواب حيناً وابتعدت منه حيناً آخر.. وفي الأحوال كلّها، ثمّة واقع استوطن وسائل الإعلام، وكما يقول الإعلامي السعودي عثمان العمير، صاحب مشروع "إيلاف" (ILAF) للكتابة الإلكترونية العربية:" إن لبنان هو المختبر العربي الأول، خصوصاً المؤسسة اللبنانية للإرسال LBC في اعتماد ونشر الصيغة المحكية"[٥٧].. وهو واقع تخطّى الوسائل الإعلامية كلّها في لبنان وأصبح حقيقة يتبنّاها الإعلاميون اللبنانيون في الإذاعات المسموعة والمرئية والفضائيات.. ويزداد الأمر خطورة إذا ما عرفنا أن معظم الوسائل الإعلامية العربية المسموعة والمرئية والفضائية تتبنّى هذا النهج، وهو ما ينذر بسوء العاقبة..

هذه الاقتراحات والدراسات حول اللغة العربية إذاً وجدت أكلها أخيراً في الإعلام اللبناني، ولم تذهب هباءً كما يدّعي البعض.. لأنّ المتابع هذه الوسائل يتحقق من هذا الأمر دون عناء في حلم كسول عاجز عن فعل شيء، وربما يجد الراحة فيه لأنّه ينقله إلى الشارع والزقاق والحي والعمل.. وسط زحمة الحياة فلا يتغيّر شيء بالنسبة له، فما يراه في حياته العملية يعاد انتاجه بالعامّي والمحكي والدارج والمحلّي والخصوصي في أحيان كثيرة..

والجدير بالذكر أنّ ما يجري في الإعلام اللبناني، المرئي والمسموع، يشكّل انكساراً للقواعد الأساسية للغة الفصحى في نوع من مواكبة تيار الحياة العادي

الجارف.. هذا التيار الذي حمل إلى الواقع اللبناني، ابتداء من سبعينات القرن العشرين، سلطات جديدة حلّت محل القديمة والسابقة لها. سلطات حملت واقعاً جديداً مدعوماً حيناً بالقوّة والطائفية حيناً آخر والخارج في أحيان كثيرة. وكانت كلّ سلطة تحمل معها سلطة إعلامية جديدة، وجدت حيّزاً رحباً لتطبيق مبدأ الحرّية، كما تراها، كما وجدت الفرصة سانحة لتطبيق أحلامها المجسّدة في مشاريع ناصبت العداء للعروبة، واستطاعت بعد مضيّ الزمن أن تفرض سلطانها اللغوي، دون استحياء، على الوسائل الإعلامية في الجوانب الأخرى التي كانت تدّعي الحفاظ على العروبة ولغتها سليمة.. وليس هذا وحسب بل تسلّقت هذه السلطة الإعلامية إلى الإعلام الرسمي فسار على آثار الخطى الموجودة كأمر واقع..

إن من ينظر نظرة سريعة إلى مجمل المؤسسات الإعلامية المسموعة والمرئية في لبنان يجد نهجاً متقارباً في استعمال قوى الأمر الواقع الإعلامية.. ولم تعد تطرح مقولات مثل تيسير اللغة أو تبسيطها إذاً، فقد بلغ الاتصال الإعلامي أقصى مداه في لبنان، وأضخم أبعاده. فقراءة الصحف والمجلات، والإعلانات وسماع أجهزة الإذاعة والتلفزيون، أدخلا الكلمة الإعلامية المنطوقة إلى كل منزل، لتؤثر في ألسنة اللبنانيين وتفكيرهم ومشاعرهم وسلوكهم، وتستعمل الصيغ المحكية موادّ أساسية في الإيصال والاقناع، فأقبل اللبنانيون عليها وألفوها، وتنبّه السياسيون والتربويون واللغويون إلى سلطاتها المتنامية الخفيّة، فلحقوا بها وتحوّلت ألسنتهم وسلطاتهم، وبدأ الواقع اللبناني مساحة مفتوحة على احتمالات الانهيار المختلفة، ساهم في ذلك، بالطبع، مناخ الانهيار الذي أشاعته الحروب في الربع الأخير من القرن العشرين"[٥٨].

واقع الإعلام في لبنان:

يشكّل ما ورد آنفاً مقدّمات كان لا بدّ منها للتعرّف إلى حقيقة الإعلام في لبنان وقاعدته التي تشكّل على أساسها.. وفي الأحوال كلّها ثمّة أمور أدّت دورها للوصول إلى الحقيقة التي نحن بصددها..

خصوصية التطور التاريخي للبنان:

لقد منح التطور التاريخي لبنان مميّزات وخصائص جغرافية وديموغرافية وفسيفساء سكانية وولاءات متعددة جعلت منه بلداً مفتوحاً في مجالات مختلفة.. والغريب أنّ هذا الواقع قد تواجد بتشكّلاته الثقافية جنباً إلى جنب وتعايشت ولاءاته في شبه مزيج أعطاه ألواناً خاصة وتنوّعاً ضمن وحدته.. فبدل أن تقول مثلاً لبنان عربي بتّ تقول: إنّ لبنان ذو وجه عربي.. وهذا يعني أن له وجوهاً أخرى كان لها الحسبان في تركيبته وعلاقاته الداخلية والإقليمية والعالمية..

كما أدّى هذا التطور التاريخي، لا سيّما في احتكاكه بالغرب وتفاعله مع محيطه العربي، إلى خلق قاعدة ثقافية انعكست في ميدان الكتابة عموماً والإعلام خصوصاً واللغة في الأحوال كلّها..

الإعلام اللبناني والانفتاح:

أمّا الحديث عن الإعلام في لبنان فهو أكثر شمولية مما يتصوّر البعض، بحيث من الصعوبة بمكان إلتقاط خصائصه والتركيز عليها والإنطلاق في دراستها، خصوصاً عندما تضيع اللغة بين الدعوات البنّاءة وغير البنّاءة بحجة تطويرها، وعندما يكون للعولمة وإعلامها مواطئ قدم كثيرة في أرجائه، الأمر الذي يجعل القضية الإعلامية أكثر تشابكاً وصعوبة، وتكبر مسائل كطغيان الإعلام

العالمي على الأمكنة وتتراجع أخرى كالاهتمام باللغة وطرق أدائها، لا سيّما عند الكشف الرهيب لحسبان لبنان مختبراً للغات وتلاقي الأفكار وتلاقحها.. الأمر الذي أوجد لديه طاقات إعلامية هائلة تبدأ من العفوية والبساطة لتنتهي بالتعقيد والاتساع، ولتدخل في الوعي والمفاهيم وأساليب الحياة العامة، في ثنائية غريبة تعوّل على قبول التقنيات الحديثة دون استئذان من جهة ويتخطى الأمر الذي بات واقعاً يتجسّد في النظرة السجالية إلى حسبان لبنان ساحة مفتوحة أمام الجميع: ثقافة وسياسة واقتصاداً واجتماعاً وإعلاماً واتصالاً.. وأنّه نقطة الاتصال بين الشرق والغرب، بل حلقة وصل بين عدّة قارات.. وهو أيضاً ما يقود البحث في الإعلام اللبناني إلى إشكاليات عديدة تتركز في التأثيرات الإعلامية واللهجات واللغات والإنتماءات والعلاقات الداخلية والخارجية حيث تتعقد المشكلة وتضيع خيوطها الرئيسة في شبكة التعددية وأمام الزحف الهائل للشبكات الإعلامية العالمية وأمام الطروحات الخطيرة التي تركّز على احتكار الإعلام العالمي ومحو الشخصية وإلغاء الخصوصية وتوجّه الإنسان طوعاً أو قسراً نحو العالمية.. الأمر الذي يعيد طرح مصير اللغات أيضاً أمام انتشار لغة العولمة وسيطرتها بالتالي على وسائل الإعلام ودخولها البيوت واشتراطها للدخول إلى سوق العمل والاستهلاك.

ذلك كلّه يعيد الباحث إلى طرح السؤال حول الإعلام اللبناني: أيّ لغة يتبنّى هذا الإعلام؟ وهل ما زال هو السؤال الكبير الذي يطرح حول مصير اللغة التي يعايشها المواطن ويتقبّل الكثير من صورها سواء أكانت عربية أم غير عربية؟ وهو السؤال الذي تقتضي الإجابة عنه في حمأة التجارة والمال اللذين أصبحا ديدن الإعلامي والإعلاني اللذين لا يهمهما سوى الربح الوفير واستمالة أكبر عدد ممكن من الناس، كما تنبغي الإجابة عنه في ظلّ هذا التراكم الإعلامي الذي أتاح الفرصة للمواطن كثرة الخيارات في دنيا غير محدودة الآفاق ومترامية الأهداف..

هي الإجابة العقيمة في زمن تحوّل التكنولوجيا إلى أيديولوجيا، حيث لم يعد يدقق المرء كثيراً في مصادر تلقيه الإعلامي، ولم تعد اللغة مدار الجدل وسط هذا التنوّع الهائل، فأخذت تضيع معالمها في هذا الركام المتعاظم من وسائل الاتصال التي تبدأ بالإذاعات المسموعة والمرئية، لتستريح أمام الحواسيب والانترنت والفضائيات التي تخاطبه بلغات لم يكن له بها عهد من ذي قبل.. هو واقع يفرض نفسه ويعمّم أدواته ويصيب المرء بالقصور والعجز عن اللحاق بما هو تقدم، فيضيع في تحديداته بين ما هو له وبين ما هو ليس له، بين طلب الكثير والرضى بالقليل مما حوله.. والغريب أنّ الأمور تجري متسارعة والقدرة على إيقافها بات صعباً، فتتحوّل المستجدات إلى ممكنات بلا هوادة بما فيها اللغة..

وسائل الإعلام في لبنان:

يشمل الإعلام الكثير من الوسائل بدءاً بالصحافة وانتهاء بالفضائيات.. ما يميّز لبنان دوره الإعلامي في العالم العربي منذ عهد مبكر من النهضة العربية، وليس أدلّ على ذلك من الصحف والمجلات التي أنشأها اللبنانيون داخل لبنان وخارجه..

أما الإذاعات المرئية والمسموعة والفضائيات فهي من الانتشار اليوم بحيث يصعب إحصاؤها وتحديدها.. وهي تتوزّع بين ما هو خارجي وما هو داخلي، وجميعها يتلقّاها اللبنانيون وهم قابعون في بيوتهم وفي أعمالهم وأماكن تواجدهم الأخرى...

في لبنان ثلاث وثلاثون (33) وكالة إخبارية، سبع وعشرون (27) منها لبنانية وست عربية وعالمية.. ومئة واثنتان وثمانون(182) محطة بثّ إذاعي محلّي، وستون(60) محطة بثّ تلفزيوني بالإضافة إلى إذاعتي لبنان الرسميتين:

المسموعة والمرئية. وفي لبنان يتلقّى اللبنانيون الإرسال من ستين(60) محطة فضائية محلية وإقليمية وعالمية[٥٩]..

ويتبيّن من الاحصاءات "أنّ 151840 ساعة بثّ تلفزيونية تغزو منازل اللبنانيين وأطفالهم في العام الواحد، أي بمعدل 416 ساعة بث يومياً، وأنّ كل ساعة من عمرنا كان يقابلها 24 ساعة بثّ تلفزيونية في حساب عدد ساعات اليقظة اليومية 17 ساعة "[٦٠].

اللغة الإذاعية بين العوربة والعولمة:

إنّ هذا الكم الهائل من المسموع والمرئي والفضائي في لبنان، يلقى خطورته في الشغف الممتد إلى العقل والنفس في متابعة وسائل الإعلام، بحيث يقضي معظم الناس، لا سيّما الأطفال، ساعات عديدة من يومهم أمام شاشاتها.. ولا يقتصر الأمر على اللبنانيين بل يتعدّاه إلى معظم أقطار الوطن العربي التي تشاهد شبكات البثّ الفضائي اللبناني.. وهو ما يقف أمامه علماء اللغة العرب، فيبدون تخوّفهم من حاضر اللغة العربية إزاء زحف العولمة وهيمنتها اللغوية الحديثة والهجينة التي تكوّنت في عصر السرعة ونالت المكانة العلمية التي أهّلتها لذلك، بفضل الفكر العلمي والرياضي الذي سيطر على نخبها وعلى فكرها وبالتطبيقات التقنية التي مسّت منظومتها الفكرية [٦١].. وتزداد المخاطر إذا ما حسبنا أنّ هذا التخوّف لا يتأتى من انتشار المعلوماتية وتقانتها وحسب، بل مما يرافق ذلك من غزو متعدد الوجوه ليس أقلّه الاستعماري والاحتلالي والاقتصادي والفكري والإعلامي والثقافي والاستعلائي والتهميشي والإلغائي.. وهو ما يعيد إلى الذاكرة مقولات العولمة كلّها ومحاولات الاستعمار للسيطرة على بلاد العرب وذهنية الإلغاء التي يتسلّح بها سراً وعلناً [٦٢].. وهذا ما يتجلى في لبنان، سواء أكان مرضياً عنه أم مرفوضاً.. وهو ما يخلق أجواء من التبعية تظهر جلية في الثقافة لا سيّما

اللغة[٦٣].. بينما المطلوب هو ترقية اللغة وحمايتها من غوائل الدفق الإعلامي الفوضوي المتجلبب بسمات التطور والسرعة والتغيير على حساب الثوابت.. وكما هو الأمر في لبنان هو في البلاد العربية الأخرى.. واقع متشابه يقتضي حلولاً عامة لدرء هذا التدهور الحاصل في مجال اللغة ونسيانها وتهميشها وإحلال أخرى محلّها. وكما يقول د. إبراهيم بدران واصفاً واقع اللغة العربية ومقترحاً السبل لحمايتها وفي مقدمتها: "تحويل اللغة والنهوض بها إلى مشروع تنموي تستثمر فيه الأموال والجهود، بحسبانها إحدى أدوات التنمية واكتساب المهارات العلمية والمعرفية والتدريبية"[٦٤]. وضمن هذا المشروع التنموي يمكن أن تواجه اللغة العربية العربية "متطلبات المرونة والتطوير والترقيم والاختصار والترميز التي يقتضيها العصر وتقتضيها التكنولوجيا الحديثة في المعلومات والحواسيب والاتصالات"[٦٥].

اللغة الإذاعية والقوانين في لبنان والحرب:

والرأي السائد في لبنان أنّه بلد مفتوح للتلقّي الإعلامي.. وهي حقيقة تختلف عنها في المحيط العربي وربما في العالم.. وقد كرّست القوانين اللبنانية [٦٦] هذا الانفتاح وراعت الاتجاهات الثقافية والاعلامية.. ونصّت المادة 13 من الدستور اللبناني على حرية إبداء الرأي في القول والكتابة والطباعة[٦٧]..

واقتصر دور الإذاعة اللبنانية الرسمية في بداياتها على الأنباء أو الأخبار (1946).. وقد حلّت في مراحلها الأولى مركزاً مميزاً، إذ كانت بمثابة وزارة للأنباء قبل أن تستحدث هذه الوزارة وينتقل اسمها إلى وزارة الإعلام(1971).. ثم استحدثت فيما بعد الوكالة الوطنية للأنباء التي تركّز فيها صوغ الخبر وتنوّعت بعد ذلك مهمّات الإذاعة فانتقلت من بثّ الخبر إلى بثّ البرامج المتنوعة، والإذاعة التي نعنيها هنا هي مرئية ومسموعة..

إلا أنّ زمن الحرب ابتداء من العام ألف وتسعمائة وخمس وسبعين (1975)، قد أحدث تغييرات عميقة في المجتمع اللبناني أدّت إلى تعطيل العمل في جملة من القوانين وسادت قوى الأمر الواقع وما استتبعها من سيطرة على مقدرات حياتية كثيرة ومنها الإعلام الذي خاض أصحابه معاركهم الكلامية المفتوحة دون هوادة حتى العام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين (1991)، حيث ظهرت مؤسسات إعلامية جديدة شبه مستقلة ببرامجها وتوجهاتها وجمهورها.. الأمر الذي أضفى على الإعلام اللبناني برمّته سمة الفوضى والفردية وصوغ الخبر وفق مشيئة أصحاب المؤسسة.

اللغة والثأر القديم:

ولقد انعكس ذلك على أساليب الأداء العفوية وشكّلت عودة إلى الطروحات القديمة–الجديدة حول اللغة العربية، لا سيّما سيادة اتجاه العامية الذي مثّل انهياراً تاماً لكثير من مظاهرها الأصيلة والرصينة والسليمة، الأمر الذي جعل ازدحام الأفكار رائجاً منها ما هو داخلي ومنها ما هو اسقاطيّ لم تنفع معه المحاولات الرامية إلى ردمه [٦٨]، وفي المجالات كلّها خصوصاً الإعلامية والتربوية والاجتماعية.. حيث يعثر الباحث على نصوص تدل دلالة واضحة على المستوى الذي تدنّت إليه العربية.. هذه النصوص تحكمت فيها السرعة والمغالاة والمحاباة والانحياز والتهجّم، كل فئة على أخرى، والابتذال في التعبير عن الآخر..

لكن هذه الطروحات عبّرت عن الاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة، كما عكست وجهات النظر السياسية حول أشكال الحكم التي تراها كلّ فئة [٦٩].. كما بُثّت الأخبار الكاذبة والملفقة واتخذت الاحصاءات أحجاماً مبالغاً فيها [٧٠].. وحصلت الانكسارات النفسية والأزمات التربوية والاجتماعية، وتلقفت اللغة هذه التأثيرات فنالت من هذا الانكسار ما نالته على صعيد أدائها التعبيري وبنيتها

وطرق استخدامها وفوضى مضامينها، وراجت فيها مصطلحات جديدة للتعبير عن الواقع الجديد. وهي مستمدة من التسميات التي أطلقت على فرقاء النزاع وعلى الطوائف، وعلى الفئات السياسية وعلى الاتجاهات السياسية كالتعدّدية والعلمنية والدويلات والفدرالية، ومشاريع الطائفية والتقسيم والطائفية السياسية والانعزال والعمالة، والوطنية والميليشيات... حيث شكّلت الصحافة المكتوبة رافداً مهماً للإذاعات المسموعة والمرئية في الصوغ الجديد، وتبنّي طرق لم تكن موجودة قبلاً..

وكما انقسمت الصحافة في لبنان انقسمت الإذاعات.. وبتنا أمام كمّ هائل يمكن التمييز فيه بين الأنواع التالية : **السياسي الخاص** التابع لكل حزب أو فئة سياسية، ينقل وجهات نظره ويتلاعب أحياناً بالمعرفة بما ينشره من تضليل للرأي العام وتهجّم على الآخر غير عابئ بمستويات اللغة شكلاً ومضموناً، ومنها صوت لبنان وصوت لبنان العربي وصوت الجبل وصوت لبنان الحرّ وصوت الشعب وصوت الوطن... و **الديني الخاص** الذي امتاز بالشفافية والايجابية، ومنه إذاعة القرآن الكريم وصوت المحبة وصوت الحياة وإذاعة النور.. والنوع **الثالث** غير الملتزم بتيار معين، وهو الذي بثّ البرامج الغنائية والترفيهية بقصد اللهو..

وهذه الأنواع الثلاثة لم يكن تواجدها من غير صراع قولي.. خصوصاً إذا أضفنا إليها الإذاعات المرئية التي انقسمت بدورها إلى هذه الأنواع، وأدّت دورها المرسوم في التبعية لكل حزب أو طائفة أو اتجاه...

خطاب الإذاعات المسموعة والمرئية والفضائية في لبنان:

تمهيد:

لا يمكن في حال من الأحوال فصل المضمون عن الشكل في اللغة في مجال الإعلام عموماً وما آل إليه الإعلام اللبناني خصوصاً.. كما لا يمكن إلا الأخذ بالحسبان المحرّكات الأساسية والدوافع المباشرة لهذا الإعلام.

إن نظرة عميقة إلى ما يجري على صعيد الإذاعات المرئية والمسموعة والفضائيات في لبنان تبدي خطابها وفق المعطيات التالية:

من نتائج الخصوصية التاريخية:

إنها نتيجة من نتائج التطور التاريخي للخصوصية التي تميّز بها لبنان منذ زمن بعيد، لا سيّما من عصر النهضة حتى زمننا الحاضر..

من إفرازات التيارات في لبنان:

إنها انعكاس للتيارات السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية والاستعمارية (الفرانكوفونية والأنكلوساكسونية والأميركية والأوروبية الشرقية...) [٧١]

تراجع الرسمي وتقدم الخاص:

التراجع في الإعلام الرسمي والتقدم في الإعلام غير الرسمي، الأمر الذي أفلت الزمام من الرسمي وترك الحبل على غاربه في شأن التعاطي مع اللغة. فلم يعتمد

سياسة ثقافية وحدوية، فقسّم اللبنانيين بالثقافة قبل أن يقسّمهم بالقتال، لأنّه رعى العناصر الثقافية للغات الأجنبية بدعوى التعدّد الحضاري والثقافي، وخاطب الشعب اللبناني على أنّه طوائف، مستخدماً لغة ثقافية خاصة بكل طائفة [٧٢].. وهكذا كان في لبنان ما يسمّى بـ"إعلام الطوائف" و"إعلام الأحزاب" و"إعلام المليشيات" و"إعلام المناطق".. ولم تنفع مع هذه التسميات نداءات مؤتمر لوزان القائلة بضرورة "وقف الحملات الإعلامية بكل أشكالها"[٧٣].

صورة لما هو قائم:

اكتسب الخطاب الإعلامي اللبناني سمات المرحلة كلّها، وظهر في أدبياته مروّجاً لفسيفساء الخصائص التي تميّز بها كل فريق.. الأمر الذي جعل هذا الخطاب خاضعاً لمقولات كل فريق حول اللغة. وهي في الحقبة الأخيرة تسجل تراجعاً بيّناً عن الخطوط الأساسية التي أظهرتها قويّة وقادرة على التعبير عن كل شيء حيث كانت تحتفظ بوضوحها وفصحاها ونقاوتها وجلال تعبيرها، كما نصّ على ذلك دستور لبنان الجديد بعد الاستقلال[٧٤]..

هبوط المستوى الأدائي:

امتاز هذا الخطاب بركاكة التعبير اللغوي وهبوط الثقافة وتحوّل القول إلى لغة الشارع، بما فيها من ابتذال وسخرية وشتائم وجدّية ورصانة. ويكفي أن نلتقط أي نص مما يذاع في المرئي والمسموع حتى نتبين الهوّة التي انحدرت إليها مستويات الكلام. ونقلت البرامج أرخص المشاعر وروّجت مضامين خارجة عن نطاق الأخلاق[٧٥]، وحملت اللغة وصف حالات تمعن في الخروج عن القيم ليكون الهدف تجارياً يهتم بما يجنيه من المال عن طريق الإعلانات التجارية والبثّ القائم على الحرية المزعومة، بعيداً من قيم الشرف والدين ووصايا العقلاء، قريباً من النزوات والتلفيقات عن طروحات غلافها التوجيه ومحتواها هدم مقولات مثل

الوطنية والديموقراطية والعدالة.. الأمر الذي أثّر في الأجيال الجديدة، لا سيّما الأطفال في أماكن تلقيّهم المختلفة..

المحلي والعالمي:

ترافق ذلك مع الدفق الإعلامي العالمي، المتركّز في الفضائيات، والتطوّر الهائل في مجال تقنياته والتخطيط القائم لزحزحة الثقافات واللغات وبنى الشخصيات وتفكك المجتمعات وحضور لغات أخرى على حساب العربية وشيوع أمثلة الهزيمة النفسية وتتفيه التراث وذهنية الإلغاء من دون أن يرأب المعنيّون الصدع ويوقفوا نزيف الإنهيار، وصولاً إلى العام 1991، حيث كانت هناك بادرة قام بها أحد وزراء الإعلام بتقديمه مشروعاً يرمي إلى حماية اللغة العربية في وسائل الإعلام[٧٦].. وقد سبق هذا الإعلان ندوة أقيمت في فندق الكارلتون في بيروت لمناقشة الأوضاع التي آل إليها الإعلام في لبنان، لا سيّما اللغة، التي وصفها أحد المشاركين بقوله:" فأية نماذج تقدّم لنا الوسائل المرئية، لقد تدهورت الأجيال الجديدة وانهارت من جرّاء التفرّج على هذه الوسائل، جيل الحرب هو جيل عدم القراءة، عدم التركيز، عدم إجادة اللغة العربية، جيل الجمل المختلطة مثل "بونسوار" (مساء الخير)، و"بونجور" (صباح الخير) و"بروغرام"(برنامج) [٧٧].. وقد تتالت اللقاءات الرسمية لحلّ معضلة الإعلام في لبنان، وتمثّلت ثمرتها بإخراج ميثاق الشرف الإعلامي" [٧٨]، غاب عنه الاهتمام باللغة العربية، ثم تكرّس تنظيم الإعلام المرئي والمسموع في قانون أقرّ بعد محاولات عديدة ومناقشات مستفيضة، وصدر بتاريخ 1994/10/20[٧٩]، ولم يتضمن أيّ إشارة إلى وضع اللغة العربية وضرورة تحسينها، بل هو يساويها مع بعض اللغات الأجنبية.. كما لم يؤدّ استحداث "المجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع" [٨٠]، إلى إعادة النظر في اللغة الإعلامية، بل أهمل وضع اللغة العربية إهمالاً تاماً، ما عدا التركيز على نشرات الأخبار التي يجب أن تكون بالفصحى..

الفوضى:

كرّست القوانين التي صدرت حول الإعلام وضع اللغة العربية القائم في الإعلام المرئي والمسموع والفضائي، فإنطلق على سجيّته، في شبه فوضى لغوية عارمة لا تراعي أصولاً ولا تعير أيّ اهتمام للتعبير العربي السليم.. وسيطرت عليها فكرة السباق إلى الكسب الأوسع شعبياً وتجارياً.. وأشاعت أجواء من الفلتان الأخلاقي، الأمر الذي أدّى بمرجع ديني كبير هو سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى، إلى القول صراحة:"إنّ ما يجري حتى في التلفزيون الرسمي هو ليس مجرّد انفتاح حضاري وثقافي وإعلام ولغة وحرية واقتصاد.. هذه سياسة موجّهة من الخارج، وقد تكون بعض الأوساط اللبنانية متواطئة، سياسة تهدف إلى إفساد الجيل من الشبان اللبنانيين والعرب والمسلمين، وغرس بذور الجريمة والعنف وتحطيم الأسرة.. لأنّ المسألة تتزامن مع ما يسمى نظام الشرق الأوسط الجديد أو مفاوضات السلام.. يراد غسل أدمغة الشباب ليكونوا قطيعاً مطيعاً.. بالإضافة إلى أنّ عدداً من محطات التلفزيون تعرض أفلاماً تروّج في باطنها للفكر الصهيوني والحركة الصهيونية، وكل ذلك في مظاهر بريئة.."[٨١].

التشتت والضياع والتسيّب:

خلّف هذا الوضع في الإعلام المرئي والمسموع والفضائيات واقعاً أليماً، يعكس تشتّت القوى بدل أن يشدّ المواطنين ويجمعهم في صفّ واحد.. وغدا لكل طائفة أو حزب أو تجمّع.. إذاعته الخاصة التي كرّست نهجه.. وبتنا أمام مجموعة كبيرة من نثار الفسيفساء التي تشكل المجتمع اللبناني.. وإن كانت الحرب الساخنة قد هدأت فإنّ الباردة لا تزال كامنة تنذر بوخيم العاقبة ساعة يستبدّ بها الهوى والرغبة.. وهكذا وجدت هذه التجمّعات الإعلامية لتقول ما يجب قوله لجماعتها

وبلغتها الخاصة التي تشكّلت، عبر الزمن، دون رادع لها، سلطتها الخاصة.. في ظلّ إرادة رسمية، جعلت من الإعلام الرسمي باهتاً، وقليل التأثير ومتراجعاً عن الوسائل الإعلامية الخاصة، وكأنّ التوجّه هو لتقوية هذه الوسائل على حساب الإعلام الرسمي، وكأنّه اعتراف به كما اعتراف بالتعدّدية في لبنان.. وهذه كثيرة ومتعاظمة: أصبحت تتمثّل بالمرئي والمسموع والفضائي دون رقابة، كثيرة التنوّع وعميقة التأثير، وشديدة الفعالية، تقود نحو الضبابية والانفلات والافتئات على القيم والتراث واللغة والأديان والأجيال الصاعدة والمجتمع بأسره.. وكأنّ الأمر مقصود انطلاقاً من مقولة احترام الآخرين وتوجهاتهم وحريتهم في التعبير عن ثقافتهم أو حضارتهم أو أساليب حياتهم عموماً، بلغتهم الخاصة المشتقة حيناً من العربية أو من لغات غيرها، هي في حدودها المثلى إسقاط مريع لهذه اللغة وانزياح عنها إلى ابتكارات ملفّقة وأداء فاضح، أقلّ ما يوصف به خروجه الكلّي من المألوف اللغوي العربي المعروف.. إلى لغة جديدة تحمل في رحمها مهمّات خطيرة لضرب اللغة الأم الأصيلة.. لغة يشتدّ تأثيرها في الأجيال الناشئة التي تتحول بدورها إلى مقلّدة، لا تعرف ما لها وما عليها، في ظلّ أزمة ترخي بظلالها على المحلّيات وتهدّد بانكسارات وإلغاءات خطيرة.. وهو ما دفع أحد الإعلاميين إلى القول:" يجب أن نحمي لغتنا بالقانون عن طريق معاقبة مذيعي الوسائل الإعلامية إن تحدّثوا بغير لغتهم العربية" [٨٢]، كما دفع سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين إلى القول بضرورة "تحريك النيابات العامة ضد الإعلانات الفاجرة والأفلام الفاضحة التي تربّي على العنف والجنس والتفلّت من المسؤوليات"[٨٣].

الإعلام اللبناني ومهمّة اللغة المستحيلة:

التركة اللغوية المشوّهة:

كانت الحرب إذاً فاصلاً كبيراً أسقط الكثير مما هو متعارف به من ضرورة الحفاظ على جلال الفصحى واحترام قواعدها.. وهي كما قلنا محاولات غير بنّاءة لاقتراح إصلاح اللغة العربية، قام به، على مدى ما يقرب القرن، "جهابذة" عدّوا أنفسهم، تارة مخلّصين للغة من شوائبها، أو مجدّدين فيها، أو ميسّرين لها أو مخلّصين إيّاها من عجزها، أو منتقلين بها إلى عصر جديد تستطيع فيه التعبير عن المستجدّات كلّها.. وكانت فعلتهم هذه تلاقي استحساناً من فئة كبيرة من اللبنانيين عن قصد أو غير قصد.. ما قدّمته هذه المحاولات كانت قاعدة استند إليها السقوط العارم لبعض وجوه البنيان الجميل للغة.. وما كادت الحرب اللبنانية تطل في العام ألف وتسعمئة وخمس وسبعون (1975)، حتى استحضرت صورة مجهودات هؤلاء "الجهابذة" ودوّت تطبيقاتها في الآفاق، منذرة بإعلام مستقلّ خاص ينفث سمومه اللغوية والمضمونية كما يرى من غير رقيب.. وتعظم المصيبة عندما نرى هذا الواقع اللغوي في الإعلام قد تكرّس بعد انتهاء الحرب اللبنانية والبدء في إعادة بناء المجتمع اللبناني، وفق الاتفاقات الجديدة التي لم تلحظ للغة العربية أيّ اهتمام على الرغم من المحاولات العديدة لإصلاح الإعلام في لبنان.. والأمر المذهل حقاً في زمننا الراهن هو انتقال العربية من حال إلى حال، ومن ثوب إلى آخر، ومن أداء تعبيري لا يعطي أيّ مكانة للفصحى في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وهو ما جعل الصحافة اللبنانية في مأزق تعبيري تضيع فيه بين الفصحى والعامية واللهجات المحلّية والتخلّي عن أبسط القواعد اللغوية وجماليات اللغة، وما

أوجد نوعاً من الانفصام بين الأدب والصحافة، وصل إلى الحدّ الذي باتت معه الصحيفة المعيّنة مضطرّة إلى إرضاء الجمهور بغية الترويج ومجاراة المستويات الهابطة في التعبير.

كثرة الإذاعات:

ونتيجة لهذا الوضع، ونظراً لكثرة الأحزاب والطوائف والتجمعات والتيارات التي استفادت من ظروف الحرب ومن مقولة الحرية في التعبير وضرورة إسماع الصوت إلى أوسع قسم من الناس.. شهد لبنان تدفقاً إعلامياً في مجال الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات..

وعلى ذلك فقد أحصي في لبنان ما يزيد على ثمان وأربعين (48) إذاعة مسموعة وتسع عشرة (19) فئة أولى وتسع وعشرون (29) فئة ثانية، قبلت ملفاتها من المجلس الوطني للإعلام وعدّت شرعية، بينما وصل عدد الإذاعات المسموعة غير الشرعية إلى سبع وعشرين (27) إذاعة..

ويمكن أن نثبت قسماً من هذه الإذاعات وتاريخ تأسيسها على الوجه التالي:

باراديز (1980)، المشرق(1982)، راديو فان(1983)، المستقبل (1983)، ميلودي(1985)، نوستالجي(1988)، راديو إيزي(1989)، النور (1987)، الإيمان(1986)، سينيال- المتوسط(1986)، ميوزيك باور (1989)، سكاي روك(1991)، لبنان السلام(1991)، باور(1991)، النجوم(1990)، جبل لبنان(1979) الفرح(1984) سويتش أف-أم(1985)، ماجيك(1985)، صوت الحب(1986)، صوت الفن(1986) جبل لبنان(1982)، الشرق الأوسط(1989)، هيت أف-أم(1988)، بيروت الكبرى(1990)، سيل أف-أم(1990)، بلو أف-أم(1992)، كابيتول(1982)، دلتا(1981)، صوت

الوعد(1982)، باكس(1977)، صوت النهضة(1991)، La une(1988)، JBS(1984)، MGS(1988)، Plus(1988)، UML، RMS، Par، والتوحيد والشرق و RTL والشمال والوادي وبعلبك(1981)، ونانتي وان (1989)، والحنان(1986)، وسكوب(1985)، وهابي أف–أم(1984)، ودو ري مي (1991)، بالإضافة إلى الإذاعة الرسمية اللبنانية[٨٤].

والجدير بالذكر أن هذه الإذاعات المسموعة بعضها يبثّ بالعربية وبعضها الآخر بالأجنبية وقسم كبير يمزج ما بين العربية والأجنبية.

اللغة العربية في الإذاعات المسموعة:

والعربية المقصودة هنا هي العامية أو إذا شئت "الدارجة"، أو "المحكية".. إذاعات لا تعير أيّ اهتمام للفصحى ومعظمها يعوّل في برامجه على الموسيقى والغناء واللهو.. ولا تجد فيها توثيقاً للبرامج، حتى الغناء والموسيقى، فغالباً ما يكونا من غير مقدّمات، هكذا يحصل البثّ للفقرة التالية فجاءة، الأمر الذي يشعرك بأنّك تسمع لأناس ليسوا من هذا الكون حتى مجهودهم الفنّي يضيع دون أن تعرف اسم المغنّي أو صاحب القطعة الموسيقية.. وإذا ما عرّج المذيع على قول من الأقوال فغالباً ما يكون بالعامية محوّلاً عن الفصحى ومشوّهاً أيّما تشويه. وكأنّ السامع بحاجة إلى ترجمته من الفصحى إلى العامية، ذلك السامع الذي ما انفكّ يسمع القرآن الكريم أو نشرات الأخبار بالفصحى.. وشتان بين فصحى القرآن وفصحى مذيعي الأخبار.. مع التأكيد أنّ معظم هذه المحطات الإذاعية لا تُقبل على إذاعة الأخبار أو الأحاديث الثقافية إلا فيما ندر.. وكأنّها أخذت على عاتقها التعويض بالفرح (كما تدّعي) عن ليالي الحرب وأيامها.. لاجئة إلى مستويات أدنى من مستويات لغة الحرب نفسها وإن كانت نتيجة لها..

وفي هذا الصدد، لا يستعصي التصنيف على الباحث عن الاستعمال اللغوي في هذه الإذاعات. فنحن أمام موجة عارمة من الاندماج الكلّي بلغة الناس العاديين على مختلف مستوياتهم، هي أشبه بالنهج أو "الموضة" في آخر تحليل.. وإذا شئنا الإنصاف قد نستثني بعض الجهود التي تبذل من أجل الحفاظ على بقايا الفصحى في بعض الإذاعات أو فلولها في إذاعات أخرى..

الإذاعة اللبنانية الرسمية:

من الإذاعات التي تحاول المحافظة على بقايا العربية الفصحى في لبنان الإذاعة اللبنانية الرسمية، وهي التي ظلّت لمدة طويلة تقدّم برامجها بلغة فصحى سليمة.. لكنّها في الآونات الأخيرة تراجعت عن هذه الخطة، والقليل من البرامج ما تبقّى يبثّ بالفصحى العربية.. نميّز في هذه الإذاعة صوغها نشرات الأخبار الدائم بلغة عربية سليمة، وهي من إعداد الدائرة الإذاعية التابعة للوكالة الوطنية للإعلام.. وهاك أنموذج من صوغها: "غادر وزير الثقافة الدكتور غسان سلامة بيروت صباح اليوم متوجهاً إلى بودابست في زيارة رسمية تستمر ثلاثة أيام تلبية لدعوة من نظيره الهنغاري غابور جورجي لإجراء مباحثات تتناول العلاقات الثنائية بين البلدين ومناقشة بنود الإتفاقية الثقافية التي سيوقّع عليها الوزيران في ختام المباحثات.. وسيكون للوزير سلامة سلسلة نشاطات أبرزها افتتاح المعرض الثقافي العربي الذي تنظمه السفارة اللبنانية في بودابست بمشاركة إحدى عشرة دولة عربية من ضمنها لبنان ولقاءات مع عدد من المسؤولين السياسيين ورجال الفكر والثقافة..."[٨٥].

وهي فصحى جيدة إذا ما قيست بالصوغ الفصيح المتدنّي الذي يشيع في بعض النصوص التي تقدّم.. فبرنامج "حديث رمضان" [٨٦] الذي يفترض أن يكون كلّه بالفصحى السليمة يتضمن نوعين من الأداء اللغوي: الأول تلاوة الآيات

القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بالفصحى التامّة، والثاني أداء يتراوح بين الفصحى والعامية في اختيار ألفاظه وعدم تشكيل أواخر الكلمات، بل تسكينها بشكل دائم. بينما برنامج "مع الأحداث" [٨٧] الثقافي والأدبي والفني، يستلهم الفصحى في السرد واللقاءات مع بعض الشخصيات.. لكنّها فصحى سهلة وغير متقعّرة وقريبة من اللهجة المحكية، تسودها السلاسة تمشياً مع الوضع الثقافي المطروح، ومراعاة لمستوى الجمهور الذي يتقبّل الكلام المفهوم بسرعة واللفظة التي اعتاد على استعمالها ولكنها قريبة من الفصحى، مثلاً:" نستقبلْ في هذه الحلقه ضيفاً عزيزاً على القلوبْ شَغْلتُه الأدبْ، يحبُّ العالم (الناس) ويتقرّبْ (يقترب) منهمْ ويأخذْ (يستقي) مواضيعه (موضوعاته) من حكاياتهم وشغلهم (عملهم)".

فهي لغة مبسّطة تحاول أن تجاري أوساط الناس، ومضطرة أن تتراجع عن الفصحى الراقية.. فاستعمال "العالم" و"يتقرب" و"يأخذ" و"شغلهم".. مفردات تتردّد في معجم الناس اليومي.. ولكن ماذا يضير لو أبرزت في وجهها الاستعمالي الحقيقي السليم؟ الإجابة هنا تفترض أنّ جمهور الناس يستطيع أن يفهم مقابل هذه المفردات في الفصحى السليمة من دون عناء.. وبذلك نستطيع رفع الناس إلى مستوى الفصحى لا هبوطها إلى مستواهم.. لأن تتابع هذا الهبوط قد يؤدي إلى فقدان الفصحى كليّاً.. وهو أمر حاصل في مختلف الإذاعات اللبنانية. وإذا ما تابعناه في الإذاعة اللبنانية نقع على هذه الحالة في كثير من البرامج الأخرى التي تؤدّى بالعامية الخالصة، مثل برنامج "أرضنا الطيبة" الذي يقدّم باللهجة المحكية اللبنانية وبرنامج "لبنان والإعمار" الذي يعتمد العامية كلّياً والحجة في ذلك أنّه يجري لقاءات وحوارات مع المواطنين ووفق لهجاتهم وأماكن تواجدهم..

بينما نجد برامج مثل "مواقف الخالدين" و"كتاب في الضوء" و"رمضان الأجداد" تعتمد الفصحى الخالصة أساساً في الأداء لأنّها برامج ثقافية تعني قطاعات معينة من الجمهور..

على أنّ الإذاعة اللبنانية الرسمية اتجهت في السنوات الأخيرة إلى أن تجاري بقية الإذاعات وتقدّم البرامج قريباً من أساليبها بغية الإستجابة لأوضاع الجمهور الذي بدأ يتلمّس فقرها في نواح كثيرة بالنسبة لسواها، الأمر الذي استدعى إعادة النظر في شبكة برامجها التي أخذت تميل إلى الأداء بالعامية مع احتفاظها بالفصحى في البرامج الإخبارية لا سيّما تلك التي تصوغها الوكالة الوطنية للأنباء.. وهذا الميل ينطلق من تبسيط اللغة إلى حدّ العامية ولا يستثني من ذلك المقابلات الإذاعية والتقارير المصورة والحوارات مع المسؤولين حتى الرسميين منهم[٨٨].. وقد نجد في برامج مثل "مشوار"[٨٩]، الذي يحوي فقرات منوّعة، لا سيّما الرياضة أحاديث ومقابلات مطوّلة بالعامية، أو المسكّنة أواخر الكلمات. ففقرة "بلا تبغ" تحض الشباب على عدم التدخين، يتحدث مقدّمها وهو يسير على قدميه داخل محطّة البثّ، بفصحى المثقفين، وبشكل وعظي خالص.. بينما يتحدث أحد الضيوف(حسان الغضبان أحد المسؤولين في الاتحادات الرياضية) بعامية خالصة.. وتجري المقابلات في فقرات البرنامج مع الفتيان والشباب ومسؤولي الفرق الرياضية والأندية والجمعيات بلهجة عامية خالصة تراعي أوضاع المتحدثين، كل ينطق بها بحسب منطقته..

الإذاعات غير الرسمية:

أمّا بقية الإذاعات غير الرسمية والعاملة على الأراضي اللبنانية بموجب تراخيص رسمية، فعلى الرغم من كثرتها، فإنّها تعتمد اعتماداً كليّاً على العامية إلا في بعض الاستثناءات في بعض الإذاعات التي تبثّ نشرات إخبارية بالفصحى، ويمكن استنتاج الملاحظات التالية حول استعمال اللغة العربية في هذه الإذاعات:

١ –**الاقتراب من التبسيط وخلق لغة ميسّرة** ، وهي محاولة للخروج باللغة من التقعّر والغريب من الألفاظ للدخول إلى عالم لغوي جديد قوامه اللفظة المفهومة بسرعة من السامع.. وهو أداء يخلط بين العامية والفصحى، بتفصيح بعض العاميّ وإلباس الفصحى حلّة جديدة من الصوغ يهبط به إلى الأداء السهل، وهو

بذلك يضفي على اللغة دنيا جديدة قائمة على انتقاء اللفظة ووضعها في سياق حسن السبك متين العبارة.. وهذا ما نجده في إذاعات مثل "صوت الشعب" و "صوت لبنان" و"صوت الشرق"، لا سيّما في البرامج الإخبارية.

٢ –نجد في هذه الإذاعات **برامج بالفصحى التامّة،** مثل برنامج "المواطن والقانون"[٩٠] في إذاعة "صوت الشعب"، و"على طريقتي" [٩١] في إذاعة "صوت لبنان"، بالإضافة إلى البرامج الإخبارية من نشرات وموجزات، وهي فصحى تصل إلى القمة في الأداء أحياناً.. وتفرد "صوت الشعب" برنامجاً خاصاً لتعليم اللغة العربية لا سيّما الأخطاء الشائعة والنحو والصرف..

٣ –تسود بعض الإذاعات **نزعة نظرية للتمسّك بأصول العربية مضموناً وشكلاً..** وقد تكون بعض المضامين التوجيهية الوطنية والقومية والإنسانية موجودة بكثافة، إلا أنّ الأداء، أي الشكل، يعوّل كثيراً على العامية، وتكاد معظم البرامج أن تكون بها.. وهذا ما يتمّ مثلاً في إذاعة "صوت الشعب" حيث نرى فيها توجهاً وطنياً وحرصاً على التراث، لا سيّما في ميدان الغناء والحفاظ على اللغة، لكنها في الواقع تقدّم معظم برامجها بعاميّة خالصة اقتراباً من "لغة الشعب".

٤ –تحاول **الإذاعات الدينية** أن تحافظ على اللغة الفصحى وتبتعد من العامية بقدر الإمكان، مع الأخذ بالحسبان بعض الفروقات والتنوّع في اللجوء إلى العامية. فـ"إذاعة القرآن الكريم" الناطقة باسم دار الفتوى في لبنان، والعاملة على نشر الإسلام وثقافته وتعاليمه تبثّ برامجها باللغة العربية الفصحى التامّة، مثل برنامج "الكلمة الطيبة"[٩٢] و"أقوال جامعة"[٩٣] و"مجالس النبوّة"[٩٤].. حتى الإعلانات فيها تذاع أحياناً بالفصحى بالإضافة إلى العامية. وهي على العموم أكثر الإذاعات أهمية في تبنّيها الفصحى الخالصة..

وتعدّ إذاعة "صوت المحبة" من الإذاعات الدينية الملتزمة أيضاً بالفصحى في بعض برامجها.. وهي محطة تبثّ التعاليم المسيحية، تُؤدّى برامجها الدينية لا سيما التراتيل والقداديس والاحتفالات باللغة العربية الفصحى.. بينما تنتقل إلى العامية في غير هذه البرامج.. وهي تفسح في المجال إلى لغات أخرى تبثّ بها: كالفرنسية والإنكليزية والأرمنية والسريانية واليونانية واللاتينية والسيرلانكية.. وغيرها من اللغات المتواجدة في لبنان..

بينما تقوم إذاعة "صوت المشاريع" الدينية الإسلامية بتقديم برامجها بأداء يراعي الفصحى في الموضوعات الدينية، مثل برنامج "السيرة النبوية العطرة" [٩٥] و"ملفات شائكة"[٩٦] و"قصص الأنبياء"[٩٧] و"العقيدة الأشعرية"[٩٨].. بينما تستعمل العامية في ما عدا ذلك كلّه لا سيّما في التقديم والبرامج غير الدينية كالرياضة مثلاً.. وإعلاناتها بالعامية أيضاً..

وفي إذاعة "البشائر" الإسلامية، نلتقي أيضاً بهذا التنوّع في الأداء اللغوي، ينتقل بين الفصحى والعامية، ويخلط بينهما في برنامج واحد أحياناً.. لينتهي في كثير من الأحيان إلى لغة المثقفين أو الصالونات.. من أمثلة ذلك ما نسمعه من نسق برنامج "صانعة الأجيال" [٩٩] الذي يُقدم له بعبارة فصيحة هي :"دروس للأم والمعلمة لتحقيق الظروف التربوية الملائمة". وقد جاء على لسان الشخصية المستضافة الأستاذ سلطان ناصر الدين العبارات التالية، نوردها كما قيلت:" على المجتمع تغييرْ سلوكْ هذا الإنسانْ منْ السلبيْ إلى الإيجابيْ. وهنا يأتي دورْ المؤسساتْ الإجتماعيهْ كيْ تحدثَ فيه تغييراً ويكتسبْ القيمْ. القيمْ كِلْمَهْ زغيرةْ. ثلاثْ حروفْ لكنْ فيها كتيرْ من الأفكار".

٥ – تشيع في بعض هذه الإذاعات ما يسمى "**باللغة اللبنانية**" **أو** "**اللغة العامية اللبنانية**".. وهي الأبرز في الأداء الإعلامي في لبنان.. وهي على توحّدها، إلا

أنّها تحمل في داخلها تنوّعاً يراعي **اللهجات المناطقية اللبنانية** .. وهي تكتسب خطورتها من أن بعض المدّعين إصلاح العربية يقترحونها أسلوباً كلامياً ملائماً حياة العصر.. ويجعلون منها لغة خاصة "للقومية اللبنانية" كما يدّعون.. إذاً هي تحمل مشروعاً مضاداً للعربية الفصحى وأنصارها الذين لا يعرفون مدى خطورة هذه الدعوة من الذين يتمسّكون بالعروبة نظرياً ويهوون باللغة إلى العامية دون تدبير أو تخطيط ومن غير علم بهم.. يستجيبون لهذا الداعي تمشياً مع السوق الإعلامي الرائج.. فمن البرامج التي تذاع تطبيقاً لذلك: "ألُو ستي" [١٠٠]، الذي يتنكّب في أدائه لهجة مناطقية تعود إلى مقدّمه، وبرنامج "شكاوى الناس"[١٠١] الذي هو خليط من اللهجات اللبنانية المتعدّدة.

وهي طريقة تلتزمها إذاعة "لبنان الحرّ" حيث تغطي العامية مجمل برامجها، بينما تذاع نشرة الأخبار وموجزاتها وملاحقها باللهجات المحكية أو بفصحى مبسطة هي أقرب إلى لغة المثقفين والصالونات، التي تؤدى دون تحريك أواخر الكلمات.. ومن برامجها: "كل يوم وانتو بخير" [١٠٢]، وهو الذي يعتمد اللهجة اللبنانية، ومثله برنامج "ضحك ولعب وجد وحب" و "خبريّة وغنيّة" [١٠٣] الذي يستخدم اللهجة الكسروانية[١٠٤].. بينما يستقبل برنامج "مرحبا على الهوا" مواطنين من جميع المناطق بحسب لهجاتهم المختلفة اللبنانية والمختلطة بلغات أجنبية..

٦ - **وقد تمزج هذه الإذاعات الفصحى بالعامية** كأن تقدم مثلاً "إذاعة صوت لبنان" برنامج "صالون السبت"[١٠٥] الذي يستضيف شخصيات رفيعة المستوى في السياسة والفكر والأدب والثقافة.. يمهّد له بمقدّمة بالفصحى تعرّف بالمضاف ومن ثم يعود الحوار ليأخذ سبيله إلى العامية بعد ذلك.. وكأنْ تبثّ إذاعة "لبنان الحرّ الموحد" أو "إذاعة إهدن" برامجها بالفصحى الممزوجة بلهجات الشمال اللبناني في نشرات الأخبار وموجزاتها، لكنها من ناحية أخرى تعتمد المحكية في مجمل

برامجها.. وذلك كلّه انطلاقاً من المقولة: إنّ إنسان العصر يفضل الاستماع إلى اللغة التي يتكلم بها [١٠٦].. وكأنّ هذا الإنسان لا يقبل أن يسمع عبارة "تعالوا يا صغار" ويفضل أن يسمعها هكذا:"تعوا يا زغار".

وهي خطة تُتّبع في الإعلام الإذاعي المسموع والمرئي والفضائي.. إذ ينطلق بعض الإعلاميين الإذاعيين من القول بموت اللغة العربية: "إنّها لغة ميّتة تدفعنا إلى الفخر في استعمال اللغة الميسّرة، مع الاعتراض على هذه التسمية، وتفضل اللغة اللبنانية بدلاً منها، وبالتالي تعميم هذه اللغة لأنها تحمل جذورنا بدلاً من الفصحى. ولا وجود للفصحى أساساً في قواميسنا الإذاعية ولا نحن نعترف بانهيارها. لقد تمّ إجهاضها منذ زمن بعيد، ولم يبق منها غير ذكريات الجاهلية"[١٠٧].

فإلى هذا الحدّ بلغت الإنكسارات اللغوية من قبل البعض في الإذاعات اللبنانية، وهي هرب من المشكلة الرئيسة في مواجهة تحدّيات العصر لا سيّما لغوياً، وبالتالي ركون إلى منطلقات أثبتت فشلها على أقلام المبدعين بالفصحى وفي الجامعة اللبنانية التي ترفض إلى الآن إدخال العامية، مهما كان مصدرها، إلى برامجها ومناهجها..

اللغة العربية في الإذاعات المرئية:

تشابه المرئي والمسموع لغوياً:

لا نجد في الإذاعات المرئية ، العاملة على الأراضي اللبنانية ، أيّ جديد يضاف إلى أساليب الأداء اللغوي في المسموعة. لكنّ الملاحظة المهمة في هذا المجال أنّ هذه الإذاعات المرئية تستقطب القسم الأكبر من الجمهور اللبناني،

الأمر الذي يقوّيها ويضعف المسموعة، لا سيّما بعد تعميم آلاتها وكثرة تداولها من المواطنين الذين يشاهدونها في بيوتهم ومراكز أعمالهم ووسائط نقلهم الطويل..

وما وجدناه في المسموع يوازيه أو يقابله لغوياً في المرئي.. **فنشرات الأخبار وموجزاتها وملاحقها وتقاريرها المصورة** تستقي من المعين نفسه.. فصحى مبسّطة في الأخبار ، وأخرى بين لغة المثقفين والعامية في الريبورتاجات(التقارير المصوّرة). ولقد حافظت هذه المحطات على الفصحى في هذا الجانب، كما حافظت عليها في جوانب أخرى في برامج الأفلام الوثائقية أو مقدّمات بعض البرامج.. لتعود العامية فيما عدا ذلك مغطّية معظم ما يبثّ من المحطات..

كما نرى هذه الفصحى أيضاً في **الترجمات التي تكتب على الشاشات** للبرامج والأفلام السينمائية الأجنبية.. وهي لا تخلو من الأخطاء اللغوية الموزّعة على القواعد والإملاء وركاكة العبارة وقربها من العامية في أحيان كثيرة. ولا تزال كلمات مثل "أن يذهبون" و "رأيت أبوك" و"إليكي" و"هاذا" و"لاكن" و"لم يأتي" و"رأيت العاملون"... إلخ ترسم على هذه الشاشات بكثرة.. وهو ما يحصل أيضاً في قراءة نشرات الأخبار أيضاً حيث يضطر المذيع إلى اللجوء إلى لغة المثقفين غير المحرّكة الأواخر، أو يلفظ الكلمات بطريقة مغايرة كما وضعت في الأساس كما هو الأمر في "يرأس" و "يرئس" و "رَكَبَ" و "رَكِبَ"، وبِنية أو بُنية والهضم والهدم والقوّة والكوّة.. و"كانوا اللبنانيون" والخطأ في استعمال الأسماء الخمسة والإسم الموصول(الذي، التي) واستعمال جمع المذكر السّالم.. والخلط بين همزتيّ القطع والوصل. ويشمل هذا الأداء الخاطئ مجمل الأخطاء النحوية التي تتركّز في نصب الفاعل أو جرّه.. والأمر نفسه للمفعول به والمبتدأ...إلخ. ويشكل التبسيط للفصحى هاجساً رئيساً لدى من يصوغ الأخبار فتتمكّن منه العامية ويخرج كلامه في منزلة وسط بين العامية والفصحى..

والجدير بالذكر أنّ هناك محطات عديدة تبثّ برامجها من لبنان. وهي تتشابه في أدائها اللغوي..

وإذا كان الشكل اللغوي تعبيراً في أكثر الأحيان عن المضامين التي تقدّم، فإنّ نظرة سريعة إلى البرامج التي تقدّم في الإذاعات المرئية ، تعطينا فكرة عن هشاشة المحتوى لإعلام يجري بثّه في القرن الواحد والعشرين ، برسم أمّة هي في قيد النهوض وتواجهها مشكلات مصيرية حادّة، يقتضي منها الوقوف جدّياً للتفكير في مسائلها المعقّدة، خصوصاً البرامج التوجيهية التي تكاد تخلو منها الكثير من محطات البثّ المرئي لا سيما الفضائي.. واقتراباً من العلمية ينبغي ذكر العديد من البرامج الجدّية التي تتضمّن إفادة ما، خصوصاً تلك الحوارية التي تستضيف شخصيات مختلفة الاختصاص أو التي تستفتي رأي الجمهور وتستمع إلى ملاحظاته.. لكنّ هذه العملية يجب ألا تنسينا أنّ هذه البرامج، على الرغم من جدّيتها، فهي تؤدّى بعامية خالصة وبلهجات متنوّعة منتشرة على معظم الأراضي اللبنانية.

بعض المرئيات في لبنان:

ويمكن أن يحصي الباحث عدد هذه المحطات المرئية التي تناقص كثيراً من الثمانينات إلى يومنا هذا.. فبالإضافة إلى إذاعة لبنان المرئية الرسمية هناك المؤسسة اللبنانية للإرسال LBCI و C33، والمشرق ومرّ تلفزيون MTV والمستقبل و Télé lumière، والمنار والشبكة المستقلة للإعلام ICN والشبكة الوطنية للإرسال NBN وكيليكيا والتلفزيون الجديد NTV وشبكة CVN والشبكة المستقلة للإرسال IBC و Antenne Plus، وتلفزيون السلام (طرابلس) والفيحاء (الشمال) وتلفزيون إهدن(الشمال) و BTC(البقاع) و T23(البقاع) و CND(البقاع) وتلفزيون 2000 وتلفزيون بعلبك (البقاع) وتلفزيون البقاع (البقاع)

وأليسار (الجنوب) ولبنان العربي (الجنوب).. بالإضافة إلى العشرات من المحطات المرئية التي أقفلت لعدم حيازتها على ترخيص رسمي بموجب مواصفات معينة أو لعدم قدرتها على الاستمرار..

اللغة في الإذاعة المرئية الرسمية:

من بين هذه الإذاعات المرئية يحاول "تلفزيون لبنان" أن يتماشى مع إرادة السلطة اللبنانية فيعكس كثيراً من جوانبها.. وقد اضطر إلى التوقف لمدة من الزمن بسبب العجز [١٠٨] المالي فيه وعدم قدرته على مواكبة التطورات الجديدة في الإعلام عموماً.. إلا أنّه يبدو حريصاً على اللغة العربية السليمة في برامج الأخبار.. إلا أنّ معظم برامجه الأخرى هي بالعامية.. ويحاول في هذه أن يعرض بعض البرامج القديمة، لا سيّما التمثيلية منها: التاريخية وسواها مثل مسلسل "تمارا" الذي يؤدّى بفصحى المثقفين التي لا تخلو بدورها من الأخطاء اللغوية في الصرف والنحو وضعف العبارة واستبدال الفصيح السليم بأقلّ فصاحة اقتراباً من أجواء العامية..

والمتأمل في سلسلة البرامج التي أذيعت وتذاع من تلفزيون لبنان، يجد أنّها لا تعير للفصحى أي اهتمام.. ولنتأمل بعض أسماء هذه البرامج الموزّعة على التمثيليات: "المعلمة والأستاذ"، والفكاهة "طق ريرـ" و"تعيش وتاكل غيرا" و"زراع يللا زراع" و"خليك عالخط" و"الإربعا بنص الجمعة" و"مسّيكم بالخير"، لنجد أنّها كلها تبثّ بالعامية أسوة بالإذاعات المرئية الأخرى، وهي عامية مبتذلة أحياناً تختار اللفظة الأكثر سوقية لإثارة الضحك، حتى وإن تضمّنت مقاطع مدسوسة بالفصحى فإنّها تؤدى بشكل مشوّه بغية اللهو والضحك، فلا يدري المشاهد أيضحك من اللغة الفصحى أم من الشخصية المقلّدة.. بالإضافة إلى برامج المقابلات مثل "صبحية" و"قضايا ومشاوير" و"أيام وناس".. التي تقدّم أيضاً

باللهجات المحلية تبعاً لمن تجرى المقابلة معه.. كما نلاحظ إمعاناً باللجوء إلى العامية حتى في عناوين البرامج.. فمثلاً "صبحية" يصبح "صباحو" [١٠٩] للإشارة إلى "صباح الخير". وسلسلة أسماء البرامج الواردة أعلاه كلّها بالعامية...

العامية لغة الإذاعات المرئية:

وإذا أمعن مراقب اللغة العربية النظر في هذه الإذاعات المرئية يجد أنّها غير معنيّة بأزمة التعبير، أو أنّها تخطت عقدة المشاكل اللغوية في الإعلام.. بحيث تغدو المشكلة محصورة لا في اللغة نفسها كلغة قوم أو لغة مقدّسة أو لغة تفكير أو حضارة أو شخصية.. بل في ابتكار لغة جديدة يتمّ التخاطب بها على غير صعيد.. وهو ما يمهّد للحديث عن "فلتان لغوي" مقصود خرج من دائرة العفوية إلى دائرة التخطيط، بدأته أكبر مؤسسة إذاعية مرئية في لبنان هي LBCI، الناطقة منذ تأسيسها باسم القوات اللبنانية التي ترأسها بشير الجميّل، وكان ينهج نهجاً خاصاً في خطابه اللغوي هو العامية، حتى بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية، فكان عمله هذا "فتحاً" جديداً يكرّس مرحلة من عدم النقاش حول العامية والفصحى، ويشير إلى بدء نجاح الدعوة إلى تبنّي العامية في الإعلام الرسمي وسواه..

ولقد أسهمت LBCI بقوّة في ترسيخ هذا النهج.. إنّ انطلاقتها المعدّة سابقاً والمدروسة بإتقان وتفوّقها في مجال الإعلام بفضل استعمالها للتقنيات الحديثة وغناها ودعم الكثير من المتموّلين لها(لبنانيين وأجانب)، قد أسهم إلى حدّ بعيد في جعلها قطباً رئيساً تحتذي حذوه الكثير من المحطات الإذاعية مسموعة ومرئية وفضائية.. فكان هذا النهج يتمثل بالقول:" إذا كنت أتوجه إلى جمهور لبنان، فَلِمَ لا أستعمل الأخبار باللغة اللبنانية؟ لماذا أستعمل اللغة العربية؟"[١١٠].

وهذه المشكلة اللغوية الإذاعية تتخطى أحياناً لبنان لتصل إلى المثال الذي يحضر دائماً أمام العرب أجمعين وهو مصر، بما تشكّله من ثقل عربي في أمور عديدة. ذلك أن العامية المصرية غزت البيوت العربية منذ زمن، في السينما والتلفزيون ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية كلّها، وغدت مثالاً وحجّة لأقطار عربية كثيرة اقتدت بها في هذا المجال.. ويبدو أنّ لبنان، بلد التواصل الأول مع مصر، كان سبّاقاً إلى تبنّي الخطاب الإذاعي المصري أي تبنّي اللهجات المحلية في الإذاعة.

في الـLBC، تجد الكثير من البرامج تقدّم بشكل مميّز عن سواها، من حيث التجهيز والتقنية والتكلفة والنوعية.. وهو أمر يسمح لها بتمرير ما تريده على الجمهور الواسع، ليس في لبنان وحسب بل في خارجه أيضاً..

ومعظم البرامج فيها تشكّل هرماً، قمّته الدقيقة نشرة الأخبار التي تقدّم بعربية فصحى تتراوح بين السليمة والمسكّنة أواخر الكلمات، وأمّا المسافة الممتدة ما بين القاعدة والقمة فهي عامّية متنوّعة بحسب اللهجات اللبنانية، تمتزج بها أحياناً بعض المقاطع بالفصحى تبعاً للموقف.. فمثلاً هناك برنامج "المميّزون" (١١١) المؤلف من عدة فقرات، من ضمنها "سوق عكاظ" الذي يفترض أن يكون كلّه بالفصحى. والعجيب في هذا البرنامج أنّك تجد المتباريين ينشدان الشعر بالفصحى، بينما مقدّمة البرنامج تتوّجه إليهما بالعامية الخالصة.. والأكثر غرابة من ذلك أنّ لجنة التحكيم المؤلفة من ثلاثة أساتذة جامعيين مختصّين باللغة العربية وآدابها يناقشون المتبارين ويصدرون أحكامهم وتعليقاتهم بالعامية الخالصة أيضاً باستثناء واحد هو د. محمد أبو علي يؤدي دوره بالفصحى من البداية حتى النهاية(١١٢).. وكأنّ المسألة انتقائية تعود إلى الشخص نفسه وإيمانه بلغته الأصيلة.. حتى أنّ أسئلة مقدّمة البرنامج في الفقرة التالية التي بعنوان "فوتبول"

تسأل بفصحى المثقفين بتسكين الأواخر وهي تقرأ السؤال في ورقة.. ويجيبها المتباريان بالعامية إجمالاً وبحسب ما يريدان..

بينما تتخذ البرامج الأخرى السياق نفسه مع مغالاة باستعمال العامية اللبنانية، من ذلك برنامج "ساعة بقرب الحبيب" الذي يستضيف شخصيات مختلفة المواقع والاختصاص لاسيّما في الفنّ..

وهو ما نجده أيضاً في برنامج "حوار العمر" [١١٣] الذي يتبنى العامية في استقباله شخصيات مهمة على غير صعيد، لا سيّما الأدبي والفكري والسياسي.. وقد يتخلّله بعض التقارير المصوّرة عن الشخصية بلغة فصحى المثقفين، يُذاع بغير صوت مقدّمة البرنامج التي تصرّ على الحديث بالعامية وتتبرّم من أي سائل بالفصحى وتقول له: "هالقد مصرّ تحكي بالفصحى"[١١٤]..

وقس على ذلك البرامج الأخرى مثل "كلام الناس" [١١٥] و"الشاطر يحكي"[١١٦].. وهي من البرامج الحوارية المنوّعة التي تعتمد على المقابلات سواء داخل الإذاعة أو خارجها.. أما البرامج التمثيلية فحدّث عنها ولا حرج.. فيها تكتمل العامية والمحليات اللبنانية.. ولا تكاد تستثني واحداً منها يؤدّى بالفصحى.. ولا تبتعد برامج الأطفال جميعها من هذا النهج سوف أختار أنموذجاً من برنامج "Tea Time"(وقت الشاي) المعدّ للأطفال المعاقين، ولنتابع الحوار التالي بين مقدّم البرنامج وإحدى المعاقات[١١٧]. يسألها المقدّم وهي تجيب:

– شو بتعملو هون؟

– نحنا منيجي منتعلم هوني..

– شو بتلعبو؟

– بنلعب رياضة، كلّ شي منلعب.

– مين هَوْ؟

– هَوْ كلّن أصحابي.
– بتدرسوا سوا.؟
– مندرس الأحرف والحساب وكلّ شي.
– بتحبي الدرس؟
– نعم.
– كيف المعلمة معك؟
– منيحا.
– بتحبيها؟
– نعم.

ويسجّل لـ LBC صحة الترجمة إلى اللغة العربية الفصحى لا سيّما في الشرائط السينمائية الغربية والمقابلات مع الأجانب وفي البرامج ذات التقارير المصوّرة المترجمة التي تكتب ترجمتها بالعربية على الشاشة.. من ذلك الترجمة للشريط السينمائي الأميركي Matrix.. وهو ينتمي إلى قصص الخيال العلمي، وتتميّز ترجمته بالدقة وربما الصحّة إلا فيما ندر. فقد تلتوي العبارة فتكون على نمط الجملة الغربية تحمل شيئاً من العجمة.. وما تمتاز به الترجمة أيضاً استعمالها مفردات جديدة متخيلة مناسبة لسياق القصص العلمي التي تحمل المشاهد إلى عوالم جديدة لا مثيل لها في عالمنا العربي.. فهي ترجمة تبتكر كلمات جديدة.. وربما كانت لفظة "مصفوفة" في العبارة التالية:"أنت تعرف محتوى المصفوفة" للدلالة على اسطوانة الحاسوب Disque جديدة في لغتنا العربية[١١٨].. والترجمة المكتوبة هي صحيحة بنسبة 90% من حيث مراعاتها ترجمة المعنى وتركيبها الصرفي والنحوي واقتدائها بأنموذج الجملة العربية الفصيحة المعروفة.

ومن هذا القبيل يمكن حسبان ترجمة المقابلة التي أجريت مع السفير الأميركي في لبنان فنسنت باتل وكتبت على شاشة LBC مباشرة.. عبر مجموعة من الأسئلة، بدأها مقدّم البرنامج بمدخل بالفصحى المسكّنة أواخر الكلمات.. واستمرّ يسأل بالإنكليزية والترجمة ترسم على الشاشة، بشكل صحيح ومقبول ومن دون أخطاء لغوية[١١٩]..

وفي هذه المحطة تكثر التمثيليات المدبلجة(الموازية لغوياً).. وهي تلك المستعارة من اللغة المكسيكية. فيرى المشاهد الممثلين المكسيكيين يحرّكون شفاههم في ناحية، بينما المتكلّم بالعربية المتقمّص دور هذه الشخصية أو تلك يتولّى الحوار بالترجمة المنطوقة مباشرة.. وهي من تراجع أنواع الكلام الفصيح ليس لتسكين أواخر الكلمات وحسب، بل لاختيار الكلام من العاميّ والفصيح وأيضاً فشوّ اللحن وتكرار الكلام وعدم حيويته وإلباسه لشفاه لا تنطق به في الأساس.. ومن أحد المسلسلات المكسيكية المحوّلة شفوياً إلى العربية(المدبلجة) نختار هذا المقطع من " Senore" (سينيورا) [١٢٠].. في سياق معالجة إحدى المريضات التي تشكو من آلام في الرأس:

– أعطيني مسكراً أو بيرة تكون باردة جداً، إن لم تحضراه سوف أحضره بنفسي.
– أمي، لا تتحرّكي، إجمدي.
– اعطيها ربما يساعدها ذلك.
– إذهب واحضر (الدكتور).
– لكنّ أمي لا تريد أن يعاينها (طبيب).
– ولكن من أين المال.
– إنّها تتعذب منذ أشهر طويلة، لكن البعض هنا لا يصدّقوها.
– أشعر بتحسّن.

– تمرّدت قليلاً لكنّها تناولت الدواء.

فعلى الرغم من استعمال هذه اللغة المتوسطة بين الفصحى والعامية، وعلى الرغم من الالتواءات التعبيرية واللغوية الكثيرة التي نجدها في مثل هذه المسلسلات، فإنّها تؤدي دوراً مميّزاً عن البرامج التمثيلية الأخرى أو الحوارية التي تقدّم باللهجة العامية.. وهي في موقع تندّر لأنها لا ترضي الذين يرومون سماع الكلام بالعامية، كما لا ترضي محبيّ اللغة الفصحى لتراجعها عن مستوى الفصحى السليمة.

تغدو LBC إذاً أنموذجاً للإذاعات المرئية العاملة في لبنان وفيه تتكثّف الملاحظات التي يمكن أن تبدى حول اللغة العربية المستعملة.. بحيث تصل إلى حدّ الإزدراء بها في بعض التقديمات مثل برنامج "لماذا" الذي يحاول تمرير كتابة العربية بالحرف اللاتيني عن طريق إلباس المواقف لباساً فكاهياً، ينسى معه المشاهد حقيقة ما يعرض أمامه من استهتار باللغة واستهانة بها، حيث يكتب النص العربي بالحرف اللاتيني على الشاشة ويترجم بطريقة هزلية نتبيّن منها مدى التلاعب بمصير اللغة العربية.

ومن خلال النصوص المقدّمة على شاشة LBC خصوصاً والشاشات الأخرى العاملة في لبنان، نجد أنّ هذه المؤسسات قد ابتكرت أسلوباً جديداً للتعاطي اللغوي الإعلامي هو إلى العامية أقرب منه إلى أية فصحى يحاول البعض إظهارها.. لغة بسيطة وسهلة تعتمد على اللهجات اللبنانية بألوانها المختلفة بطريقة أدّت "إلى لبننة النحوي صوغاً ونظماً" [١٢١]. وهو ما يعكس مدى الغربة التي تعيش فيها اللغة العربية الأصيلة عن أبنائها الذين يقفون شواهد على نحرها، إما مسهمين وإما ساكتين متفرّجين، بحيث لم تعد تسأل عمّن يدير هذه المحطة أو

تلك، سواء أكانت فئة وطنية أم غير وطنية، طائفية أم غير طائفية، مسلمة أم غير مسلمة، ملتزمة أم غير ملتزمة...

فابتداء من **التلفزيون الرسمي**، فإنّ دائرة التجنّي على العربية تتسع يوماً بعد يوم. فما نراه على شاشة إذاعة لبنان المرئية الرسمية قد يعطي فكرة واضحة عن حال العربية.. ومن خلال برنامج "صباحو" [١٢٢]، الكلمة التي من المفترض أن تكون "صباح الخير".. هناك فقرة عناوين الصحف.. وهي مكتوبة بالفصحى التي يصاغ بها عادة الإعلام المكتوب.. وهي ليست ارتجالية إلى الحدّ البعيد، نجد مقدّم البرنامج يقرأ هذه العناوين بلغة مسكّنة أواخر الكلمات.. ويأخذك العجب عندما تشاهد برنامجاً، مثلاً، على شاشة "**تلفزيون المستقبل**" أو كما يحلو للبعض أن يسميه " FUTURE"، يقدّمه شاعر معروف [١٢٣]، يقوم أساساً على استقبال شخصيات مميّزة في حقول الفكر والأدب والثقافة والنبوغ في المجالات الأخرى.. يأخذك العجب عندما يستهل بمقدمة بالفصحى الخالصة تعرّف بالضيف [١٢٤]، وفجأة ينتقل الحوار إلى العامية اللبنانية، فيلقي بأسئلته من بداية البرنامج إلى نهايته بها، بينما يجيب صاحب السموّ الملكي على الإجابة بفصحى المثقفين..

بينما تجد برنامج "أُصّهْ كبيري[١٢٥]، على الشاشة نفسها، وهو برنامج ألعاب وأحاجي، يعرض بطريقة بهلوانية وبعامية لبنانية خالصة، مع العلم أن البرنامج يستضيف مشتركين غير لبنانيين..

إلا أن محطة تلفزيون " **المنار**"، تحاول أن تقترب كثيراً من الفصحى الصحيحة في معظم برامجها.. وهو ما اختطته لنفسها منذ إنشائها.. فالمراقب بثّ هذه الإذاعة المرئية يلاحظ التزام مقدّمي البرامج بالفصحى إلا فيما ندر ووفق حالات خاصة.. وتكاد تكون المحطة الوحيدة الأكثر إلتزاماً بالعربية.. وهي التي أخذت على عاتقها الحفاظ على القيم الدينية والحضارية والوطنية والقومية، من

خلال ما تقدّمه من برامج تسعى فيها إلى إنارة ما أظلم في ليل العرب والمضيّ في حمل الراية الإسلامية المضيئة في هذا الزمن.. لا سيّما في مقارعتها للأعداء.. والمراقب محطة "المنار" يجد مدى جدّية التزامها بكل ما يذاع منها:

١ -فهي ملتزمة دينياً.. تجعل الحفاظ على اللغة العربية السليمة مهمة دينية بحسب وصايا القرآن الكريم.

٢ -معظم برامجها إخبارية وتليها الحوارية وبعدها التقارير المصورة.. وفي هذا كلّه ثمة إلتزام بالفصحى..

٣ -يمتاز مؤدّو البرامج بسلامة النطق واتقان قواعد اللغة العربية ومعرفة جمالياتها..

٤ -هي محطة مقاومة للإحتلال تجعل من مهمّاتها أيضاً مقاومة أيّ إسفاف باللغة العربية..

٥ -فيها برامج منوّعة للكبار والصغار.. كما فيها برامج ثقافية كثيرة ومتنوّعة لا تخرج فيها عن التزامها.. حتى برامج الصغار لا تخرج عن هذا النطاق.. فبرنامج "المنار الصغير"، وهو برنامج إخباري للأطفال يقدّم بالفصحى الخالصة.. وله دور تعليمي يهدف للتنشئة السلمية..

٦ -تتميز أيضاً بكثرة البرامج الدينية التي تذاع بالفصحى الخالصة مثل:"الدين والحياة" [١٢٦]، و"نداء الصلاة" [١٢٧] و"ن والقلم" [١٢٨]... وغير ذلك من البرامج العديدة التي يحرص القائمون على تقديمها برصانة، لا سيّما تلك التي تتوجّه إلى الأطفال مثل "آلو [١٢٩]... الصغار"، وهو معدّ بطريقة تعليمية تمكّن الصغار من اللغة العربية، و"مواهب المنار

الصغير"، من أجل تنمية قدرات الأطفال في المجالات الابداعية المختلفة: الشعر والرسم والقراءة، و"في سلّتي حكايتي"، برنامج دمى يؤدى بالفصحى للأطفال في تقديم قصة من روائع الأدب العالمي للطفولة تمثيلياً.. كما يلاحظ المراقب لهذه الإذاعة المرئية نوعاً آخر من البرامج التي تتداخل فيها الفصحى والعامية.. كما في برامج مثل "حديث الساعة" و"الوجه الآخر"، و"صامدون" و"لبنان صدى المقاومة"، ويمكن رصد أحد البرامج الإخبارية التي أذيعت من هذه الشاشة لتبيان مدى الالتزام بالفصحى، نركّز فيه على السقطات النادرة جداً:

تقدم "المنار" حلقة من برنامج "أنباء وآراء" [١٣٠] كل ليلة. وهو عبارة عن نشرة أخبار معزّزة بالتقارير المصوّرة والآراء التي يستضاف أصحابها مباشرة على الهواء.. في هذه الحلقة عرض على الشاشة خبر بهذا الصوغ:"فرنسا وألمانيا وروسيا ماضون في منع وقوع الحرب"، فينبغي استعمال "ماضية"، وليس "ماضون". والغالب على الأداء اللغوي للمذيع وعلى لغة التقارير، عدم تحريك أواخر الكلمات والاكتفاء بالتسكين بنسبة 50% تقريباً، يقول مقدّم البرنامج:" اغتالتْ قواتْ الاحتلالْ الناشطْ في حركةْ حماسْ عمادْ مبروكْ".

- عدم قراءة الأرقام بلغة عربية سليمة، مثلاً القرار 1441، بنسبة 60%.

- بعض الأخطاء النحوية مثلاً وردت هذه العبارة:" إنّ لدى المفتشين الفكرةُ نفسُها"، بينما الصحيح:"الفكرةَ نفسَها"، كما وردت عبارة:"شهد ساعاتٍ حافلةٍ" والصحيح "حافلةً:(التقرير المقدم عن الحجّ).

- ورود بعض الأخطاء الشائعة مثل :"نموذج" والصحيح "أنموذج" ويعتبر والصحيح "يحسب".

– عدم التفريق في حركة بعض الألفاظ، وهو ما يغيّر معناها: مثل الجَماعية والجُماعية.

اللغة العربية في الفضائيات اللبنانية:

الدور اللغوي الإيجابي:

لا تختلف مشكلة اللغة العربية في البثّ الإذاعي المرئي والمسموع في لبنان عنها في الفضائيات اللبنانية.. وإن كان الناس قد توسّموا خيراً في بدايات هذا البثّ باللغة العربية الفصحى في العام ألف وتسعمئة وواحد وتسعين (1991) مع إنشاء "كابل فيزيون"، فإنّهم اليوم باتوا يرون في فضائياتهم ما يرونه في البثّ الإذاعي الأرضي من تدهور اللغة العربية الفصحى باتجاه العامية الشديدة المحلّية.

ولقد كان الانطباع الأول عن هذه الفضائيات أنّها بدأت تجمع العرب في بوتقة واحدة حول فصحاهم، وأنّها تؤدي دوراً لم تؤدّه الأنظمة العربية مجموعة في لمّ شمل العرب وتحقيق وحدتهم والتعرّف إلى أساليب حياتهم وطرق تفكيرهم وآخر مستجداتهم ونظامهم الثقافي المشترك وقيمهم التي يعتزّون بها.. فقد رأوا كلّ ذلك يبثّ بلغتهم القومية السليمة..

من الإيجابي اللغوي إلى السلبي:

لكنّ ذلك سرعان ما تبدّل أمام المتغيرات الدولية والمحلية.. وعادت الأمور كلّها إلى محليّاتها تستمد منها موادّها الإعلامية وتتنافس في جودة برامجها المستقاة من واقعها.. وإذا كانت بدايات بثّ كابل فيزيون بالقول:"شو بدّك، ساعة ما بدّك، وين ما بدّك، كيف ما بدّك؟" أي "كل ما تريد وساعة تريد وأنى شئت

وكيفما شئت" [١٣١]، فإنّ ذلك كان فاتحة جديدة لاستعمال المحكية اللبنانية في الفضائيات.. حيث بدأ الانفلات باتجاه العامية وباتجاه البرامج البعيدة من هموم العرب ومشكلاتهم لا سيّما اللغوية والقريبة من اللهو والتسلية وجذب المشاهدين إليها، دون أن يكون لها هدف سوى إفراغ المادة من محتواها و"تدمير اللغة العربية"[١٣٢]، مثل "عالباب يا شباب"، "يا ليل يا عين" على شاشة LBC

والأمر لا يقتصر في هذه الفضائيات على المحطات اللبنانية وحسب، بل يتعداه إلى المحطات غير اللبنانية(العربية والأجنبية) التي تشغل ساعات طويلة أوقات المشاهد العربي.. فانظر إلى مثل عنوان هذا البرنامج في الفضائية المصرية"دقّي يا مزّيكا" [١٣٣] لترى أنّ المشكلة هي عامة، عربية وليست محلّية، بعيداً من الرقابة الرسمية، التي تشجّع ولا تمنع، بحجة أنّ الناس يفهمون بسرعة، ولست أرى ما يضير لو استعملت عبارة "أعزفي يا موسيقى" أو يا ألحان أو يا أنغام... وأنظر إلى البرامج التي تقدمها الفضائيات الأخرى مثل أوربيت و ART وسواهما.. لترى ترجمة الأفلام الأجنبية لا سيّما على شاشة محطة FILM CHANEL(قناة الأفلام)، في غاية الرداءة، لعظم الأخطاء اللغوية التي ترسم على الشاشة ويتابعها العرب في كل مكان.. ثمّ أنظر إلى توجهاتها الثقافية والمعرفية والبنائية الاجتماعية والنفسية.. لتجد أنّ جيلاً بكامله سوف ينشأ بعيداً من مصادره الثقافية الأساسية، هجيناً لا يعرف النافع من الضارّ، في غابة من الضياع تنشئه تربوياً وثقافياً في متاهات غربة قاسية عن تراثه وواقعه ونقسه ووجوده ومحلّياته.. وما يقدّم ليس إلا سقط المتاع في عالم يسعى متنفّذوه إلى الهيمنة على كل شيء فيه..

الفضائيات اللبنانية ، إلى جانب العربية، بما تقدّمه من برامج بلهجاتها المحلّية، تسهم إلى حدّ بعيد بإزدياد الاختلاف بين العرب، وإن ادّعى داع بأن هذه

الفضائيات تجعل مع الزمن اللهجات العربية المحلية مفهومة من الآخرين.. فتقرّب البعيد.. إلا أنّه إدّعاء يتجه باللغة العربية الفصحى نحو الهاوية ويعمّق أزمتها ويوسّع دائرتها لتطال الأقطار العربية كلّها وربما الإسلامية في العالم.. ولا يغفر لأصحاب هذا البثّ إذاعتهم نشرات الأخبار بالفصحى فهي بدورها ضعيفة، قريبة من المحكيّات إن لم تتبنّ المحكيّ نفسه، على غرار ما يحصل في الأرضيات.. علاوة على الأخطاء اللغوية المتعاظمة في الأداء بالفصحى، الأمر الذي يستدعي وقفة مراجعة حسابات هذا البثّ، ليس من قطر بمفرده، بل من الأقطار مجتمعة بغية العمل على وقف التدهور الحاصل في اللغة.. وهي مهمة"اللجنة العليا لاتحاد إذاعات الدول العربية" التي عليها أن تراجع المشهد الاتصالي العربي"(١٣٤).

وتبدو مشكلة الاتصال باللهجات العامية متفاقمة، لا سيّما إذا اتضح أنّ هناك ثلاث لهجات عربية كبرى: البدوية وبلاد الشام والمغرب العربي.. ولا يقتصر الأمر عند هذا الحدّ بل إنّ كلّ لهجة منها تتفتت إلى لهجات محلّية، بحيث أنّك إذا تابعت المحكيّات العربية من القطر الليبي إلى المغرب، فستفقد الفهم رويداً رويداً لتصل إلى المغرب ويتحوّل فهمك إلى درجة قريبة من الصفر، بينما ترتفع هذه النسبة إلى ما يزيد عن 90% إذا ما سمعت اللغة العربية الفصحى..

أضف إلى ذلك، فإنّ برنامجاً مثل "بسمات وطن" الفكاهي التهكّمي والكاريكاتوري في كثير من جوانبه، يحملك إلى تنوّع كبير من اللهجات اللبنانية المحلّية من الجنوب إلى الشمال والبقاع مروراً بالجبل وبيروت.. وتعظم المشكلة إذا ما عرفنا الفرق بين هذه اللهجات ونبرتها الصوتية واستعمالاتها الخاصة بكل منطقة.. فهي محلّية خالصة بألفاظ مرمّزة تصل إلى حدّ الابتذال أحياناً، بالإضافة إلى ما يشوبها من مزج بين العربية والأجنبية وما يكتب على الشاشة من كلمات

عربية بحروف لاتينية.. والجدير بالذكر أن النبرة الصوتية وطريقة نطق الكلمة في لبنان تختلف من قرية إلى أخرى وصولاً إلى المدن والمناطق..

لغة الإعلان في الإذاعات المرئية والمسموعة والفضائيات:

مكمن الخطورة:

تتجلى أزمة استعمال اللغة العربية أكثر ما تتجلى في الإعلانات التي تترامى إلى الأسماع وتعانقها الأبصار.. إنّ من يتابع الإذاعات العربية كلّها لا يقع إلا فيما ندر على إعلان بالفصحى.. وإذا وجد فإنّه لا يزيد عن 1%.

والأمر الملاحظ أنّ هذا الأداء اللغوي الإعلامي يعوّل كثيراً على المحكيّات، وإن أنصف يمزج بين الفصحى والعامية.. كأنْ تسمع مثلاً في تلفزيون **المستقبل**، أرضياً وفضائياً الإعلان عن البرنامج الغنائي لاختيار أفضل مطرب عربي.. فاسمه: "العرب SUPER STARS"[١٣٥].. أما الإعلان التجاري المرافق له فهو "برعايةْ شايْ LIPTON"، فمن الملاحظ أن الدعاية له التي تشمل اسمه أيضاً هي خليط من الأجنبية والعربية، وكأننا لا نحسن أن نقول "نجم النجوم العرب" مثلاً.. كما نلاحظ الإعلان التجاري يكتب على الشاشة وينطق به بلغة هي بدورها خليط من عدة منطلقات: الفصحى المسكّنة الأواخر والقريبة اللفظ من العامية، و الأجنبية التي تكتب مرّة LIPTON ومرّة ليبتون، ترافقها العبارة العامية:"دوق طعم الشهرة".

ويقوم الإعلان التجاري أو الدعاية التجارية على الاستمالة والإغراء والسيطرة على المتلقي عن طريق التشويق، ويدخلها التهويل والمبالغة ودغدغة العواطف وتبسيط الحصول على ما يتمنّاه الإنسان وتسهيل الطرق نحو ذلك،

وكلّها توهم الإنسان بتحويل حلمه إلى حقيقة، ويساعدها في ذلك أنّها ليست كالإعلام الذي يطلب منه نشر الحقائق الثابتة الصحيحة والأخبار والمعلومات السليمة الصادقة[١٣٦].. والجدير بالذكر أنّ هذا الإعلان غالباً ما يحمل مثلاً أو حكمة أو قولاً سهل الحفظ وفي متناول كلام الناس اليومي، يصاغ بعامية سهلة الحفظ.. فمن الإعلانات التي تتردّد في الإذاعات المرئية اللبنانية واحد لمسحوق الغسيل "يس"، فقد حفظ اللبنانيون هذه العبارة :"ما إلِكْ إلا يس، يس تلاته بواحد، يس للغسيل ولجلي وتّنضيف".. ومفاده أنه يخاطب المرأة بالقول: ليس لك إلا يس، يس ثلاثة بواحد للجلي والغسيل والتنظيف"، وما تبقى من هذا الإعلان في ذهن المشاهدين هو عبارة "تلاته بواحد" فانظر إلى هذه العبارة وما تحمله من معنى يصل أحياناً إلى حدّ الابتذال والابتزاز الجنسي..

بينما تجد الإعلان عن حليب نيدو NIDO، بعد أن يُقدّم له بمقدّمة بالعامية الخالصة ترافقها صورة لطفل يتناول هذا النوع في مراحل حياته المتعددة، فيختم الإعلان بعبارة: "أجيالٌ تنمو مع نيدو " فهو يراعي الفصحى في هذا الجزء الأخير عندما يكبر الطفل ويتخرّج من الجامعة، كما هو مختلط بين العامية والفصحى في مختلف أجزائه..

وأحياناً ترافق الأغنية هذا الإعلان التجاري.. فمثلاً الإعلان عن مياه "صحة" يأتي غنائياً ترافقه الموسيقى كما يلي: "صحّه وعوافي صحه، من النبع العاليْ صحه، كلّه عوافي صحّه من جبل لبنان صحّه، من أرزْ لنبان صحّه، صحتين وصحه". وتضاف العبارة التالية بعد انتهاء الغناء:"صحه طْلبوها منْ كلّ مكانْ". في مثل هذا الصوغ نجد الإعلان يؤدى بعامية مشوبة بفصحى مسكّنة أواخر الكلمات.. وهي غالباً ما تكون أرقى من لغة إعلانات أخرى تأتي فجّة ودون مراعاة لشكل لغوي..

على أن الكثير من الإعلانات سواء أكانت تجارية أم برامجية فهي مصوغة بالعامية: تعيشْ وتاكل غيرا وصحتك بدّني"(تلفزيون لبنان).

وفي الغالب أنّ هذه الإعلانات مرتبطة بالاستهلاك السلعي.. وتحمل أمرين أساسيين: الصورة والصوت.. فإذا كانت الثانية قد وصلت إلى حدّ كبير من التدهور، فالأولى ليست بأفضل حال.. حيث يتمّ تمرير الإعلانات المصوّرة على الصغار والكبار والنساء والمسنّين بشكل مبتذل في أكثر الأحيان ويستخدم الطفل وجسد المرأة وعفاف الشيخوخة ونجوم التمثيل استهلاكياً في عرض رخيص هدفه الترويج ولا شيء غيره..

وتبدو اللغة في تزاوج مع الصورة، يتقاسمان هوّة واحدة، بالإضافة إلى الموسيقى والمؤثرات الأخرى.. في جمل قصيرة معبّرة وإيجاز يكثّف الغرض من الإعلان في أقلّ وقت ممكن وأسرع إفادة مرجوّة، يراعى فيها وضع الجمهور الثقافي واهتماماته على غير صعيد. وتكرّر هذه الإعلانات في غير محطّة بثّ بأسلوب سهل الحفظ، قصير، ومعبّر بلغة مسفّة بقدرها وقدر أهلها.. تنمّي ملكات واقتناعات غير صحيحة الشكل والمحتوى تدخل في قدرات الأجيال الفكرية من الطفولة إلى الشيخوخة.. وغالباً ما يردّد لا وعي المواطن هذه الإعلانات دون وعي للتندّر. وهو إنّما يفعل مستبدلاً ما في حافظته من محفوظات اختزنها في الذاكرة من الطفولة بهذه التفاهات والمقولات التي لا تغني ولا تزبد، بحيث يفسد التلفاز اللغة العربية الفصحى باستعمالها استعمالاً سيئاً من جهة، مستبدلاً بها العاميّات والسوقيات والأجنبيات من جهة ثانية، وهو كفيل بإزالة اللغة العربية الفصحى وما تمثّله"[١٣٧].

إذاً تدخل خطورة الإعلان على صورته الحالية في الإذاعات اللبنانية إلى جوهر تكوين الشخصية، فتغزوها نفسياً وعقلياً بما تولده من تأثيرات وما تلبسه من

منطق يعقلن المشهد والكلمة في قالب تسلية ولهو الهدف منه زرع الميل إلى اقتناء السلعة التي ترافق مسرّات الإنسان وفرحه.. فبدل أن يعبّر عن هذا الفرح بلغة أدخلت ولا تزال تدخل إلى النفوس المزيد من المتعة والفائدة قديماً وحديثاً، ها هي ذي اليوم تتجلبب شبحياً لتمسخ الهياكل والأجسام وتشوّه العقل ومادته التي هي اللغة في آخر تحليل.. فأيّ عقل يرجى من وراء ذلك.. فإذا كان الشعار الوطني الذي رفعه مصرف لبنان: "ليرتك هيَّ عملتكْ، استعملا"، وإذا كان لبنان الرسمي يتبنّى مثل هذه الإعلانات "عمهلك! مش كل مرّة بتسلم الجرّة"(وزارة الداخلية)، أو "عمول منيح ولا تكب بالبحر"(وزارة البيئة)، وإذا كانت الإعلانات الرسمية تكتب أحياناً بالفصحى السليمة على الشاشات وتقرأ مسكنّة هرباً من النطق الصحيح بها، وإذا كانت إعلانات البرامج تصبح في ذاكرة المواطن اللبناني مثل: "ما إلكْ إلا هيفا"(ليس لك إلا هيفاء)، و"من كلّ ميله عيله"(من كل جهة عائلة).. إذا كانت هذه الإعلانات كلّها وسواها كثيرة التردد على مسامع المواطنين ليلاً نهاراً لتصبح في خاطرهم يرددونها دون وعي، جدّاً ومزاحاً، فأيّ ثقافة تنتظر هذه الأمة في عصر التحدّيات وذهنيات الإلغاء.. وفي زمن يطلب فيه مديرو البرامج في الإذاعات إلتزام العامية والدارجة والمحكية بدل الفصحى والأجنبية المختلطة بالعربية بدل النقاء اللغوي[١٣٨].. على غرار ما تستهلّ به مقدّمة البرامج في مرئية المستقبل قائلة:"بحيّيكم من شاشةْ المستقبلْ الأرضية"(المستقبل الساعة الثالثة ظهراً بتاريخ 2003/6/2).

الفصحى في الإذاعات اللبنانية بين القبول والرفض:

والجدير بالذكر أن نسبة الذين يحبّذون الفصحى في لبنان لا تزال كبيرة، وأنّ الكثيرين لا يزالون يرونها سهلة.. فقد أشارت إحدى الدراسات التي أجريت حديثاً في لبنان إلى أن 42.8% من اللبنانيين يرون أن الفصحى هي عادية مقابل

61.2% يرونها صعبة بسبب القواعد النحوية والصرفية، وأنّ 44.5% يرضون عن استعمال اللغة العربية في الإذاعة المسموعة و 43% في المرئية، و 29% لا يرضون في المسموعة، 25.9% في المرئية، و 24.9% لا فرق لديهم من استعمال العربية في المسموع و 26.4% في المرئي، بينما غير المجيبين هم 1.1% في المسموع و 4.8% في المرئي[١٣٩]. وترتفع نسبة القابلين باللغة العربية في الإذاعات إلى 48.6% من المسلمين و 43.9% من المسيحيين، مقابل 28.3% من المسلمين و 30.1% من المسيحيين أبدوا رفضهم لهذه اللغة، وأن 20% من المسيحيين 23.1% من المسلمين لا فرق لديهم في استعمال هذه اللغة[١٤٠].. وتشير النسب التالية إلى وضع اللغة العربية في ظلّ الظروف الحالية في الإذاعات المسموعة: 49.5% يرون أن اللغة العربية تراجعت و 24.9% يرون أنّها تحسنت. وفي المرئية: 28.5% يرون أنّها تحسنت و 47% يرون أنها تراجعت.

تبين هذه الدراسات جملة من النتائج والملاحظات التالية:

نتائج ملموسة:

أولاً: القلق الكبير الذي يساور الناس على مستقبل اللغة العربية في الإعلام المرئي والمسموع.

ثانياً: نجاح الإذاعات في توطين النفس اللبنانية على أسلوب معيّن من الأداء اللغوي وهو أخطر أنواع التأثيرات.

ثالثاً: عدم اهتمام المسؤولين الرسميين بهذا "الفلتان" اللغوي والتسيب الإعلامي، الأمر الذي ترك الحبل على غاربه من دون رقابة وتوجيه وعناية باللغة القومية المقدسة.

رابعاً: تراجع قسم كبير من المواطنين عن الاهتمام بلغتهم الأم وانسياقهم وراء تلفيقات الإعلام وحبائله في جرّ المواطن إلى متاهات الاستهلاك وسهولة المتناول، والتركيز على المتعة دون الفائدة، والهرب من الالتزام بأكثر المقوّمات أهمية وهي اللغة.

خامساً: الاستهانة بالثقافة والقيم والتراث وتعاليم الدين التي توحي بالمحافظة على هذه الثوابت.

سادساً: غياب الوعظ والإرشاد من متنكّبي المسؤوليات الرسمية والدينية والاجتماعية والثقافية، وتراجع الدور الريادي الذي يجب أن تؤديه النخبة، وتقدّم دور المال والأهداف المادية الرخيصة وتحكّم رؤوس الأموال بمقدرات العلم والثقافة والإعلام عموماً..

سابعاً: تغدو اللغة الحالية في الإذاعات نتاجاً مباشراً للانفتاح على عالم الآخرين المبهر والانصراف عن الأساس والتعلق بالشكليات دون الجواهر.

ثامناً: قلة تأثير الجامعات ومراكز البحث والمجامع اللغوية في الذي يجري متساوقاً مع الحياة التلقائية، استجابة لمنطق الهزيمة والانكسار النفسي والتراجع الأخلاقي وعدم اهتمام المسؤولين بهذه المؤسسات.

تاسعاً: غياب القرار العربي الجدّي الذي يوقف هذا الفلتان ويفرض أنموذجاً معيناً من التعاطي الإعلامي على غير صعيد..

عاشراً: تراجع دور المؤسسات التربوية وعدم فعاليتها فيما يجري وربما تكون مشاركة لما يجري استجابة لعوامل مثل التفرقة الطائفية والحزبية الضيقة والمناطقية والعشائرية في بعض الأحيان وإلباس الحقوق لباساً خاصاً بكل فئة..

حادي عشر: إسهام العديد من الدراسات غير البنّاءة لتطوير اللغة العربية أو تحسينها، في خلق أجواء ملائمة لمثل هذا الهبوط باتجاه العامية والفرنجة والبحث عن أطر بديلة للفصحى وسط عالم من الشكوك والتآمر عليها.

ثاني عشر: تغييب المثقفين والأدباء والشعراء والمبدعين الحقيقيين عن دائرة الضوء، سعياً وراء مثقف تابع أو مسيّس، وأديب مؤجّر يبيع سقط متاعه إلى المتنفذين، لا سيّما في الإعلامين المرئي والمسموع، وانجرار الشعراء وراء السهل المؤدي إلى استعمال العامية بدل الفصحى في الشعر، بحجة شعبيته مرّة وبحجة فولكلوريته مرّة أخرى وبحجة تعبيره عن أوساط واسعة وسرعة فهمه مرّة ثالثة وخروج من دائرة إسار الشعر القديم وأوزان الخليل مرّة رابعة واللجوء إلى نوع من القصائد المتراجعة عن خطوط النظم مرّة خامسة والادعاءات الباطلة حول موت العربية الفصحى مرّة سادسة والانجرار وراء الدعوات الغربية المروّجة للغاتها مرّة سابعة...إلخ.

ثالث عشر: الازدواج أو الثلاثي أو الرباعي اللغوي الذي يغزو ألسنة اللبنانيين، فبينهم الكثير ممن يتكلمون بأكثر من لغة أجنبية.. وهذا الأمر يجعل من التداخل بين العربية وسواها أمراً طبيعياً في لبنان، وهو ما ينعكس في هذه الإذاعات امتزاجاً شبه عضوي يجعل من المتحدث ينطق بكلمات أجنبية دون وعي.. وما يدخل العربية في مشاركة مع غيرها ويفقدها الكثير من مواطن التعبير فهيا وجمالياته ومضامينه. هذا علاوة على أنّ كثيرين من اللبنانيين يعدّون الفرنسية لغة أمّ لهم، فابتكروا لغة أطلق عليها اسم الفرالبنانية Franlibanais، بالإضافة إلى الفرنكوفونية والأنكلوسكسونية والإنكليزية، لغة العولمة في الظرف الحالي..

اللغة العربية وطرق الكلام المستعملة في الإذاعات المسموعة والمرئية والفضائيات:

مما تقدم، صار بالإمكان الحديث عن أنواع متعددة من طرق الكلام المستعملة في المسموع والمرئي اللبناني..

فهناك **الفصحى العربية السليمة** التي تطل من حين إلى آخر في هذه الإذاعات، لا سيّما في نشرات الأخبار ومواجزها، تؤدّى من غير شائبة تشوبها، وهي تظهر على لسان المجدّين ومحبّي العربية.. وتنفرد مرئية "المنار" ببعض الأداء السليم في مجمل برامجها.. كما هو الأمر في "إذاعة القرآن الكريم".

و**الفصحى الناقصة**، وهي عموماً كما يطلق عليها لغة المثقفين والصالونات أو اللغة الثالثة، وقد غدت لغة شبه معتمدة في المواقف الجدّية أو التي تحمل موقفاً ينبغي أن يبلّغ بأكمله واضحاً خوفاً من التغيير فيه.. وهي تعتمد تسكين أواخر الكلمات وتسقط الإعراب جملة وتفصيلاً ومفردات.. ويعدّها البعض حلاً وسطاً ما بين الفصحى والعامية.. وهي من الكثرة بحيث غدت اللغة الرئيسة الوريثة للفصحى في الإذاعات اللبنانية.

و**العامية العامة**، لهجة اللبنانيين كلّهم، نمثّل عليه بمقدّمة أحد الدواوين التي كتبها الشاعر سعيد عقل صاحب الدعويين: إلى العامية وإلى كتابة العربية بالحرف اللاتيني: يقول سعيد عقل:"نشوء كل معرفي فيك بترافقو لزي، بس اللزي البترافق المعرفي البيعملها الجمال بتفرق عن غيرها بأنو فيها شيء من التخدير، من الحلم، من الهز، كأنّو الكون الإنت فيه مرجوحا. وإن تعمقنا أكتر منشوف روح

الجمال حركي صوب التوحد، أجزاء عمتتلم بكل طيشرا عمتصير نظام، وهالنظام متل كأنو بساطا مع أنو مركب من ألف تنويعا وتداخل شعور غريب كأنو التعقيد زاتو صار عمير حرحْ".

وقراءة هذا النص بالفصحى هي على الوجه التالي: "نشوء كل معرفة لديك ترافقه لذة، لكن اللذة التي ترافق المعرفة التي يصنعها الجمال تختلف عن غيرها بأنها تحمل شيئاً من التخدير والحلم والهزّة، وكأن الكون الذي أنت فيه مرجوحة، وإن تعمقنا زيادة نرى روح الجمال هي حركة باتجاه التوحد.. أجزاء تجتمع بكل، متفرّقات تصير نظاماً، وهذا النظام كأنه بساط لها، مع أنه مركب من ألف تنويعة وتداخل، شعور غريب، كأنّه التعقيد ذاته أصبح منبسطاً..".

سأترك هذا النص من غير تعليق، وسأكتفي بالقول إن ذلك هبوط من فلوات ملائكية تمثلها اللغة الفصحى إلى هشيم محترق، كل شيء فيه متآكل متهدّم لا يلوي على جمال ولا يحقق كسباً للغة المعروفة بالرصانة وحسن الأداء باتجاه القلب والوجدان. وهي اللهجة السائدة في مجمل المرئي والمسموع اللبنانيين، التي يعمل على تطويرها بكافة السبل باتجاه الهاوية إن لم نقل باتجاه الاضمحلال..

و**العامية المحلية** ، وهي فرع من العامية العامة اللبنانية، تتميّز عنها بمناطقيتها وانحصارها في دائرة لهجة منطقة أو ضيعة أو دسكرة أو قصبة.. وهي الباطل الذي يراد به حقاً بحجة الاقتراب من عامة الشعب حتى في بيوتهم.. كأن نتحدث بالإمالة في الجنوب والتضخيم في الشمال والخشونة في الجبل والمدّ المفخم في البقاع والمدّ المليّن في بيروت والمدّ الطويل في صيدا... والجدير بالذكر أنّ هذه المناطق لها لهجاتها الخاصة التي تتبنّاها الإذاعات في المناطق اللبنانية المختلفة.

و**الفصحى المشوبة بالأجنبية**، كأن نمزج بين الفصحى السليمة وبين بعض الكلمات الأجنبية، وهي كثيرة، وربما تحوّلت هذه الأجنبية إلى كلمات عربية تصرف وتطبق عليها قواعد النحو.. وهي موجودة أيضاً خارج لبنان لا سيما في الأقطار التي تتبنّى الفرنسية لغة ثانية أو أي لغة ثانية أخرى.. كأن يقول التونسي لك: "تريد أن تلوّج" وتلوّج كلمة أجنبية من لوج Loge(السكن) ومعنى الجملة "تريد سكناً".. وكثيرة هي الإذاعات المسموعة والمرئية في لبنان ما يخلط بين اللغتين لاسيّما التي تعتمد التحديث أو"المودرنيسم Modernisme" وتتوجّه إلى الشباب، خصوصاً، وتكثر من بثّ الموسيقى ووسائل اللهو والترفيه..

والعامية المشوبة بالأجنبية ، وهي مشكلة المشاكل وتعقيد يضاف إلى تعقيد، عندما تسمع مذيعة تقول: "بدّك تعملي شوبنك"(تريدين أن تتسوّقي) أو عندما تسمع وتشاهد إعلاناً عن جبنة "البقرة الضاحكة" :"جبنة طرية La vache qui rit. وفي هذا كله تجد الأخطاء اللغوية تغزو هذا الأداء اللغوي بأنواعه كلّها.. أخطاء نحوية وأخرى صرفية، وأخطاء في استعمال اللفظة العربية في غير محلّها وأخطاء في لفظ الحركات الداخلية للفظة. لحن متعدد الوجوه وعجمة في الجملة.

البرامج واللغة العربية في المرئي والمسموع:

وربما كانت اللغة في **الإذاعات الدينية** أخف وطأة من الأخرى لرصانتها وتحسسها بالمسؤولية الدينية، لا سيّما لدى من يشعرون بقداسة اللغة وبأنها نوع من التعبد، خصوصاً عند تلاوة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتفسير المرافق لهما، فتأتي "إقرأ" و"المنار" وإذاعة القرآن الكريم و"الإسراء".. في مقدمة هذه الإذاعات.. بينما تأتي محطة Télé lumière مباشرة بفضل ما تبثّه من تراتيل وقداديس وصلوات دينية ووعظ بالفصحى، نجد ذلك في مجمل الخطب الوعظية للكاردينال صفير ومجموعة كبيرة من المطارنة في المناسبات الدينية المختلفة.

وتأتي البرامج الأخرى، التي تعدّ **ثقافية واجتماعية وتربوية**، لتعكس صورة لغوية يبدأ معها الانكسار وفوضى الأداء اللغوي، راسمة خطوطاً تعدّ تراجعاً عن الفصيح السليم، لتذاع بعربية تتراوح بين تسكين الأواخر والانحدار إلى العامية، وهذا الأخير هو القناع المزيّف الذي تختفي وراءه تمريرات اللغة الأشدّ انكساراً.. كما في برامج مثل "كلام الناس" [١٤١] و"سيرة وانفتحت" [١٤٢] و"صباحو"[١٤٣] و "عالم الصباح"[١٤٤].

وهو ما نجده في **برامج الحوار الثقافي** عموماً، والتي تصبّ في مجموعة البرامج المقنّعة بالثقافة والمختلطة الأداء اللغوي المتراوح بين الفصحى السليمة والأخرى المسكّنة الأواخر والعامية الخالصة، ومنها: "خلّيك بالبيت" [١٤٥] و"حوار العمر"[١٤٦] و"الشاطر يحكي"[١٤٧] ، ويمكن أن يضاف إليها برامج التباري الأدبي والعلمي والثقافي مثل "المميزون" [١٤٨] و"من سيربح المليون" [١٤٩] و"أصّه كبيري"[١٥٠] وبرامج المكافآت عموماً.

وتغدو **البرامج الهزلية** في طليعة البرامج التي تجذب المشاهدين إليها.. وهي الهوّة السحيقة التي انحدرت إليها العربية في عامية مبتذلة تمعن في محلّيتها وتصل إلى حدّ متدّن في الأداء، حيث يرتسم الضحك صوتاً وصورة على الشاشات، وفي مخيلات وأذهان المشاهدين، فتضيع اللغة فيها أيّما ضياع.. من ذلك برنامج "طق رير" [١٥١] الذي هو في الأساس العربي: "تقرير" وفي الهزلي مؤلفة من كلمتين "طق": العربية العامية بمعنى(انفجر) و"رير" الأجنبية Rire معناها الضحك، فيصبح معنى البرنامج "انفجر من الضحك". والأمر نفسه لبرنامج "بسمات وطن"[١٥٢]، التي يمكن أن تجزأ أيضاً: "بسمات= بسْ ماتْ" أي عندما مات وطن ويمكن أن تقرأ كلها بمعنى آخر شكلي "بسمات وطن" أي ضحكات وطن. ومن ذلك أيضاً برنامج "لا يملّ" [١٥٣]، المعتمد على المقالب والمواقف الهزلية التي هدفها الإضحاك والتسلية وهي في جوهرها انكسار وإماتة للغة العربية الذي يفترض الحزن، في معرض فرح ينسي المشاهد ويضلله ويبعده من الإحساس بأنّه يمشي في جنازة لغته المقدّسة.

وتندرج في هذه البوتقة **برامج التسلية** القائمة على الأحجيات والمتضمنة ربحاً مادياً، يسحب المشاهد من عالم الواقع القيمي إلى عالم الاكتشاف المموّه بالتشويق والتلفيق المعرفي.. وهو ما نجده في برنامج "أصّه كبيري"[١٥٤] القائم على "بهلوانيات" مقدّمة وألعابه وحركاته الجاذبة للجمهور، والمتوّجة بربح مادي للمشترك أو المشاهد خارج محطة البثّ.. ومن ذلك برنامج "ساعة بقرب الحبيب"[١٥٥]، الذي يخفي وراء رصانة مقدّمه على شكل مقابلة مع شخصية ما، غالباً ما تكون فنّية، معرفة مقدّمة بأسلوب يخلط الجدّ بالهزل والمعلومة بالتشويق، بعامية سافرة، على الرغم من أنّ الشخصيات المستضافة ليست بالضرورة لبنانية، فنشاهد ونسمع مزيجاً من العاميات اللبنانية والأخرى العربية.

وتنفرد **البرامج الإخبارية** في المرئي والمسموع اللبناني بأنّها تترك واحات صغيرة للفصحى السليمة لا يتعدّى نطاقها الدقائق.. لينتقل قسم منها إلى لغة تسكين الأواخر، كما ورد على لسان مذيعة الأخبار من مرئية المستقبل: "إلى مطارْ بيروتْ الدوليْ يتوالى وصولْ رؤساءْ البرلماناتْ العربيةْ" [١٥٦] ولتحتل العامية القسم الأكبر منها، لا سيّما في التقارير المصوّرة والبرامج المعلوماتية الإخبارية والتعليقات.. ومن عادة بعض هذه المحطات أن تختتم نشراتها الإخبارية بفقرة تحمل مرّة اسم كاريكاتور"[١٥٧]، ومرة "دمى كاتور"[١٥٨]، و"حوارات بين رسوم"[١٥٩]، كلّها تلخص الموقف السياسي أو الاجتماعي، وتؤدى بعامّية خالصة ويستقدم إليها البارعون في هذا المجال.

وغالباً ما تستضيف البرامج الإخبارية شخصيات سياسية: مثل برنامج "حوار العمر" و"خليك بالبيت" و"كلام الناس"... تتراوح لغة هذه البرامج بين ثلاثة مستويات: الفصحى والفصحى المسكّنة والعامية وهي الغالبة.. نقتطف بعض المقاطع المقطّعة من مقابلة أجريت مع معالي وزير البيئة والنائب الحالي فارس بويز في برنامج "كلام الناس" [١٦٠]: "أنا بعتقد تكتيكياً طرح موضوع لمحافظه أمر جدّي – نبحث بمواضيع إنمائيه وأهمها محطة تكرير المياه – خلينا ندير بالنا للأمور لبتعنينا – خريطة الطريق أكبر منا – لبنان إذا بينضم إلى خارطة الطريق ما بيقدر الوصول للحل وحدو".

وهو يعني:"أنا أعتقد تكتيكياً(مناورة) أن طرح موضوع المحافظة أمر جديّ – نبحث في موضوعات إنمائية وأكثرها أهمية محطة تكرير المياه، دعونا نهتم بالأمور التي تعنينا– خارطة الطريق أكبر منّا – لا يستطيع لبنان أن يصل إلى الحل بمفرده إذا انضم إلى خارطة الطريق".

إلا أن عهدنا بمعالي الوزير بويز أنه يجيد العربية الفصحى السليمة وإن لم تكن هذه الفصحى، فتلك المسكنّة أواخر الكلمات.. إلا أن جذب مقدّم البرنامج باتجاه العامية في أحيان كثيرة، مع أنّه يجيد الفصحيين: السليمة والمسكّنة أيضاً، قد أحال الحوار إلى هذه اللغة المحكية التي لا تختلف عن أيّ محكية مناطقية لبنانية..

على هذا النهج تسير **برامج الأطفال** أيضاً في المرئي والمسموع اللبنانية، فهي تتقاسم الفصحى السليمة والفصحى المسكّنة الأواخر والعامية، وهي الغالبة، حيث ينزلق الأطفال إلى مهاوي ضياع اللسان الصحيح، حيث يجري استنطاقهم بحسب العامية اللبنانية العامة بل بسحب لهجات مناطقهم وبلداتهم وحتى بيوتهم، وهي غالباً لهجة أطفال لم يكتمل بعد نموّهم النطقي واللغوي، يقدّمون أمثلة أمام سائر الأطفال اللبنانيين الذين يتسابقون إلى حسن الأداء بهذه اللهجة التي في آخر مستويات الكلام.. فأيّ طفل بعد ذلك نريد؟ بل أي لغة نريده أن ينمو بها؟ وأيّ شغف خاطئ نزرعه في يقينه ليلهث وراء عامية متداعية بعيدة كل البعد من لغة الدين والحضارة والتراث والشخصية التي ندخل بها إلى العالم [١٦١].. نستثني من ذلك، بالطبع مجموعة البرامج المختلفة والمتخصصة التي تقدّمها مرئية "المنار"، الأرضية والفضائية، حيث تسيطر عليها الفصحى السليمة وتعد بمستقبل زاهر للغة العربية يكون مثالاً للآخرين..

بينما تحاول بعض **البرامج التاريخية والتراثية** أن تكون قريبة من واقعها فتؤدى بالفصحى.. لكنها مشوّهة لغوياً تكثر فيها الأخطاء وتقدّم بحسب وجهة نظر الفئة التي تمتلك محطة البثّ.. في المحطات الدينية الإسلامية مثل "إقرأ" وإذاعة "القرآن الكريم" و"البشائر" و"المنار".. نجد هذه البرامج التاريخية محافظة على النصوص، ويقترب التعليق عليها من الأداء اللغوي الجيّد.. بينما تقلّ جودة

هذا الأداء في المحطات الأخرى، سواء أكان البرنامج سرداً تاريخياً أم تعليقاً على حدث أم تمثيلياً.. وتكاد الفصحى المسكّنة الأواخر أن تسيطر على هذه التقديمات في القسم الأكبر منها.. وقد تمتاز البرامج الفولكلورية منها بعودتها إلى الفصحى السليمة في أكثر الأحيان، بينما يتخلل تقديماتها، من وقت إلى آخر، العودة إلى العامية والمحلّيات بحجة أن ذلك هو طبيعة هذا الفنّ الأصيل، صنعته أجيال وأكسبته الألوان المحلّية.. وتكتسي تجربة الرحابنة في المسرح والغناء أهمية خاصة في إلباس الكلمة لبوساً خاصاً يحاول أن يجمع بين العام اللبناني والعربي وبين المحلّيات التي يمكن أن تصاغ بلغة مفهومة من معظم الناس..

يدخل في بوتقة هذه التقديمات كل ما يمكن أن ينقل في المسموع والمرئي من **مهرجانات وخطابات واحتفالات** في مختلف الميادين.. فهي تخرج إلى الملأ بحسب وضع الشخصية التي تؤدي. فالخطب والاحتفالات الدينية غالباً ما تكون بالفصحى السليمة.. بينما السياسية يغلب عليها شكل التسكين الأخير للكلمة.. وقد تكون عامية مطلقاً، وهو ما درج عليه الرئيس اللبناني الراحل بشير الجميّل، سواء أكان قائداً للقوات اللبنانية أم رئيساً للجمهورية.. فهو قد شقّ نهجاً أصبح تقليداً لخطباء كثيرين وطريقة فضلى لمقدّمي قسم كبير من البرامج، ولا يزال هذا النهج سارياً إلى اليوم لدى العديد من المسؤولين اللبنانيين رؤساء[١٦٢] ووزراء ونواباً وقادة مؤسسات وأحزاب وجمعيات.. ويكفي أن تتناول أي صحيفة لبنانية لتقرأ بعض التصريحات والخطابات حتى تطالعك لغة المثقفين، لغة تسكين أواخر الكلمات في كل كلمة وعبارة..

وقليلاً ما يتناهى إلى آذان المستمعين والمشاهدين حوار أو مكالمة تأتي من خارج محطة **البث على الهواء** باللغة الفصحى السليمة.. وهي البرامج التي تفسح في المجال أمام إسهامات الجمهور، ومعظمها يقال بالمحكي المحلّي بحسب

المتصل، حتى وإن كان الشخص المستضاف شخصية أدبية: نثرية أو شعرية، فغالباً ما يجيء الردّ بفصحى المثقفين أو العامية في الأغلب[١٦٣].

هل العربية لغة إعلامية؟

لا يتسع المجال كثيراً للإجابة عن أسئلة مكثّفة تطرح حول قدرة اللغة وإمكاناتها في المجالات العديدة.. يقول الدكتور مبارك عن الدعوة إلى العامية: هي "دعوة جاهل أو شعوبي، وهي لا تعني– اجتماعياً – غير التقاطع والانزواء وقوقعة المجتمعات الضيقة، ولا تعني – قومياً وسياسياً– غير تفكيك وحدة الأمة وتمزيق شعوبها، والإكثار من كياناتها المتجزئة، ولا تعني– إسلامياً غير إنشاء جيل بلا قرآن"[١٦٤]..

يحيل هذا القول مسألة التداول بالعامية إلى خارج دوائر الأهمية الماثلة أمام رقيّ المجتمع. وهي إما من دخيل متآمر وإمّا من سياسي يهدف إلى التقويض وإلغاء دين الله الأهم.. وفي طيّاته يجيب عن السؤال المطروح أعلاه: هل العربية لغة إعلامية؟ والإجابة تكمن في قول القائل: إن اللغة قوية وقادرة إلا أن تدخل الغير بهدف النيل من العربية والعرب جعله ينحرف عن جادة القوّة التي تمتاز بها العربية..

وفي علمنا أنّ العربية نجحت إعلامياً منذ البدايات الأولى لتكوّنها.. أما بعد التكوين فكانت لغة القبائل.. لغة الشعر والنثر.. بها يذاع الموقف الإعلامي ومنها ينطلق إلى الرحاب.. وفي ظلّ الإسلام تعاظم دورها فكانت أداة الخطاب الإعلامي الممكن الذي أدّى إلى النجاح في مختلف المستويات..

وفي منظور اليوم تتداخل المعطيات وتتعاظم الأدوار.. ويتراجع الدور العربي وتضمحل قوته العسكرية والتنظيمية والسياسية.. وينعكس ذلك على مجمل

التعاطي في جميع الميادين لا سيّما الإعلام.. ويتقدّم الدور الدخيل ويشتدّ التآمر ، فيتاح للعابثين أن تعلو كلمتهم بغير حق.. فإذا الظاهر خلّاب مدهش يبهر العيون ويضعف السمع ويبهت العقول ويحوّل المشاعر والأحاسيس عن غاياتها إلى مقاصد أخرى في المرئي والمسموع والشؤون الحياتية الأخرى.. لينتهي الأمر إلى العولمة، وكأنّ اللغة العربية لا يكفيها المتحاملين عليها من أبنائها أو مهمليها منهم، لتواجه أشرس حملة عالمية يقودها قطب يهدّد وجود الآخرين ويسعى إلى إجتثاثهم من الجذور.. يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله(عضو مجمع اللغة العربية المصري): "إن ما نشهده اليوم ونحن في مرحلة أصبح الإعلام يسمّيها مرحلة العولمة، هو الهجمة التي تقودها شبكة المعلومات على اللغة العربية، سواء أكانت الفصحى أم العامية، حتى الفرنسية والإيطالية واليابانية وغيرها، تعاني مخالفة المعلوماتية وهجمة العولمة، كما تعاني اللغة العربية"[١٦٥].

وهو رأي يلقي أيضاً بمسألة التراجع اللغوي إلى خارج الذات اللغوية، ولا يرى نقصاً في القدرة اللغوية على التعبير..

والأمر كذلك .. اللغة العربية قادرة على التعبير عن كل شيء.. تكمن فيها الخصائص التي تجعلها كذلك، وتتميز بقواعد صرفية ونحوية وبلاغية و"فقهية لغوية" تجعلها متكيّفة مع كل طارئ.. والمشكلة ليست فيها وإنما بالنظام العربي العام، النظام الذي لم يتخذ قراره بعد للإندماج كونياً بالمستجدات التي تحصل لا سيّما في مجال الإعلام.. وهو ما يترك كيفياً لفئات منفلتة من عقال الرقابة المنظمة التي تحلّل وتحرّم إستعمال اللغة كما سواها من اللوازم للبناء السليم[١٦٦].

وما نراه اليوم في المرئي والمسموع اللبناني هو من هذا القبيل: محاولة للابتعاد طوعاً من سلامة اللغة، إلى تلفيقات أخرى تضع الإنهزام والتآمر والدسيسة والتبعية عناوين لها..

لغة العرب، لغة القرآن، قادرة ومتمكّنة من الأداء الإعلامي وسواه، والنقص ليس فيها بل في مدّعي الحرص عليها وتطويرها بأسس غير بنّاءة بغية قتلها[١٦٧].

اللغة العربية والهامش الديموقراطي في لبنان:

استكمال الإجابة عن السؤال السابق تندرج أيضاً في أجواء الحرية والديموقراطية التي يتمتع بها لبنان ويتميّز بها عن سواه.. وهو أمر أسهم كثيراً في توسيع دائرة اللعب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة في لبنان.. وجاءت الحرب الأهلية لتمكّن اللاعبين من رسم خطوط هذه الدائرة وتؤكدها باتجاه إفراز سياسات خاصة تصب خارج النطاق العربي نفسه.. فأطلق لها العنان تنظيراً وتنفيذاً في غياب قرار عربي موحد يصون ما لدى العرب ويحافظ عليه ومنه اللغة...

أعطت الأجواء الديموقراطية في لبنان إذاً هذه الفئات حرية التصرّف في الإعلام، حتى في الزمن الذي أقرّ فيه الدستور الجديد في الطائف، في زمن الانطلاقة الجديدة للبنان، لم تأت النصوص على ذكر اللغة العربية في الإعلام ولم تضع أيّ خطة لرفع مستواها، بل تركت الحبل على غاربه، فلعب اللاعبون واستكملوا مخططاتهم مستفيدين من الاستقلالية والترخيص والحرية الممنوحة كلها لهم.. حتى باتت صورة اللغة اليوم إفرازاً من إفرازات هذه الحرية التي أسيء استعمالها فغدت مشوّهة ومثالاً للعبث الديموقراطي ولهوه بعيداً من حلّ المعضلات الأخرى الكبرى التي يعاني منها لبنان والعرب عموماً.

بينما يتموضع الحلّ الديمقراطي ومسائل الحرية لا سيّما في القول، في مراتب أسمى ينبغي أن تسود.. فالحرية غير المنضبطة أو غير المرتبطة بالمسؤولية حرية ناقصة، والديمقراطية التي لا تعمل لصالح الشعب والأمة والتاريخ

والحاضر والمصير هي ديمقراطية مشوّهة تستعمل في غير ما وضعت له في الأساس.. إذ من الشخصية تنطلق الحرية وإليها تعود المميزات الإيجابية والسلبية . وإذا ضاعت اللغة فإنّه إيذان بضياع الشخصية، وضياع الشخصية هو ضياع للأمة.. فأيّ أمة يراد لها أن تدخل المعترك العالمي بغير لغة قوية موحدة وسليمة تحافظ على ذاتها دائماً.. ؟ إن اللغة العربية تواجه تحدّيات هائلة من أبنائها الذين يسهمون في تراجعها عن قصد أو غير قصد، ومن وقوى وابتكارات إعلامية وعلمية وإيديولوجية.. "التحديات الهائلة أمام الإنترنت والعولمة وحوسبة التراث واقتصاديات الثقافة والتعليم دون أن يتحوّل النهوض باللغة العربية إلى مشاريع قومية عربية وقطرية وطنية، فإنّ القرن الحادي والعشرين وما سيرافقه من تطورات من أدوات الاتصال والعلم والثقافة قد يحمل مفاجآت للغة العربية لا يحسن الإطمئنان إلى نتائجها"[١٦٨].

الهامش الديمقراطي في لبنان ينبغي أن ي دفع القوى الديموقراطية فيه إلى تبنّي لغة الديموقراطية، لغة التعبير عن البرامج التي يصوغونها من تجارب الشعب اللبناني الكفاحية على مدى طويل من الزمن.. وهي تجارب توحي بالتمسك بالعروبة والوطن والقيم.. وعلى أساسها قامت قواهم ومنها انطلقت لتقول كلمتها الوطنية والقومية التي كانت على مستوى التضحيات الجليلة التي قدّمت خدمة لفكرتها، أسوة بالشعوب الأخرى التي تسعى إلى المحافظة على كياناتها[١٦٩]..

وفي الختام لغة القرآن والعروبة:

وقد تلف الغرابة الباحث حين يعلم أننا نتحدث عن اللغة في قطر من أقطار العرب هو لبنان الذي أسهم أبناؤه في إعلاء شأن العربية بحثاً فيها وكتابة بها وإبداعاً في طرق تعبيرها.. والغرابة أننا نجد فريقاً كبيراً من اللبنانيين يتمسّك نظرياً بلغته، ويمارسها أدباء وشعراء وكتاب كثر في مختلف المجالات، صحيحة فصيحة

سليمة من أيّ هوى.. وهذا الكلام يحيل السقطات اللغوية في الإعلام اللبناني المرئي والمسموع إلى دائرة الإهمال أكثر مما يحيله إلى دائرة إخفاق اللغة في التعبير والعطاء.

ذلك أن اللغة العربية تبقى، ونحن نتحدث عن لغة العرب أجمعين، لغة القرآن والتراث والحضارة والفكر والأدب.. لغة خفّة مباني الكلم وسعة التصرف والمجاز والتعريب والاشتقاق والطواعية والارتجال والمرونة والانتظام الصوتي والحس السياقي وتعدد الأساليب الكتابية وثراء المعجم وشدّة التماسك بين عناصر منظومتها..

وعلى ذلك كلّه، فإنّ العربية ظاهرة اجتماعية، بعلوّها يعلو المجتمع وبانخفاضها وتراجعها يتراجع المجتمع.. والأمة التي تنشد الحياة الراقية عليها التبصّر بلغتها عن طريق التبصّر بنهوضها [١٧٠].. فبالتجدد والمحافظة التي هي سمة العربية، نتجدّد ونحافظ على وجودنا.. فأنظر إلى أمة تسبقها لغتها في الميادين كلّها، وانظر إلى لغة قطوفها دانية مثمرة ناضجة تتحوّل عنها الأمة إلى الفجّ والرديء من الثمار؟

ما يلزم هو القرار العربي لحماية اللغة وتطويرها، ما يلزم هو قيام المجامع اللغوية العربية بأدوارها، وتنكب الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية واللغوية مهمات المحافظة على حياة اللغة وضبط الخارجين عن الأصول في الأداء اللغوي حتى يتسنّى إعادة الوجه المشرق للغة بإعادة الوجه الأكثر إشراقاً للأمة.

الهوامش

١- تاريخ سوريا الحضاري القديم: 1- المركز، د. أحمد داود، ص625، دار المستقبل، دمشق، 1994.

٢- الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، ز.ل. ليفين، عرض وتقديم سليمان الديراني، مجلة الطريق، عدد3، بيروت، حزيران1979.

٣- يراجع المقالات والأبحاث والكتب التالية: حياة اللغة وموتها: اللغة العامية، الأب مارون غصن، ص8، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1952.

- حقوق اللغة العامية بإزاء اللغة الفصيحة، الأب لويس شيخو، مجلة الشرق، الجزء 23، العدد 3، بيروت، آذار 1952، ص162.
- علاقة التاريخ باللهجات العربية، شكيب أرسلان، مجلة "المقتطفات"، جزء 80، العدد 3، القاهرة، آذار 1923، ص325.
- اللغة المكتوبة واللغة المحكية، أسعد داغر، مجلة المقتطف، الجزء 27، العدد 3، القاهرة، آذار، 1902، ص257.
- اللهجات العامية في لبنان وسوريا، عيسى إسكندر المعلوف، مجلة المجتمع اللغوي في القاهرة، العدد 4، القاهرة، تشرين الأول، 1937، ص299.
- الوسائل لترقية اللغة العربية، الأب لويس شيخو، مجلة المشرق، الجزء 20، العدد 12، بيروت، كانون الأول 1922، ص1047.
- معجم عطية في العامي والدخيل، رشيد عطية، ص 12، دار الطباعة والنشر العربية، سان باولو، 1944.
- رأي في الصراع بين العامية والفصحى، مقال لمحمود تيمور، نشر في مجلة المجتمع اللغوي بالقاهرة، الجزء 11، ص 65.
- اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جورج الكفوري، ص99، مطبعة نصار، بيروت، 1948.
- نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1955.

– اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (لبنان:1901–1960)، د. رياض قاسم، مؤسسة نوفل، بيروت 1982.
٤– محيط المحيط، بطرس البستاني، مادة وصل، ص: 972–973، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة العام 1983.
٥– لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مادة "وصل" ص (936–937)، مكتبة لبنان، بيروت، بدون تاريخ طبع.
٦– Dictionnaire Bordas, Maurice Davau, Page 257, édition Bordas, Paris 1976.
٧– اللغة، ج. فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، ص603، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950.
٨– المرجع نفسه، ص6.
٩– أصوات متعددة وعالم واحد، جون ماكبرايد، ص 27–28، من دون مترجم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
١٠– لسان العرب، ابن منظور، المجلد السادس، ص 936–937.
١١– الموسوعة الفلسفية العربية، د. معن زيادة، م 1،ص18، مادة اتصال، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986.
١٢– الأقمار الصناعية وتكنولوجيا الاتصالات، فاروق إبراهيم علي، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز العربي للدراسات الإعلامية، القاهرة، عدد 1989، ص28–29.
١٣– اللغة العربية والوعي القومي، وسائل الاتصال الجماهيري، مسارع الراوي، ص 86، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.
١٤– الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، ص44، دار الفكر العربي، القاهرة 1978.
١٥– اللغة العربية في عصر العولمة، د. أحمد بن محمد الضبيب، ص62، مكتبة العبيكان،الرياض، 2001.
١٦– محيط المحيط، بطرس البستاني ، ص874.
١٧– محيط المحيط، بطرس البستاني، مادة علم، ص638–639.
١٨– الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ص 280، مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة، 1969.

١٩- القيم في التربية والإعلام، إعداد د. بسام عبد الحميد، من بحث بعنوان"ثوابت القيم الصحيحة في الإعلام المرئي والمسموع" للأب الدكتور يوسف مونس، ألقاه في المؤتمر الأول للقاء الكليات والمعاهد الجامعية الدينية في لبنان، بيروت 2002، ص310.
٢٠- وسائل الإعلام بين الرأي العام الإرادة الشعبية، أنيس مسلم، ص 19، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر.
٢١- اللغة، ج. فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ص5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950.
٢٢- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الجزء 1، ص 46-47، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952.
٢٣- لغة الإعلام في لبنان، د. منيف موسى، من محاضرة ألقيت في النادي الثقافي العربي في بيروت، بتاريخ 1998/3/7.
٢٤- العرب وثورة الاتصال الأولى، د. عصام سليمان الموسى، ص:17-19، وزارة الثقافة، الأردن، 1999.
٢٥- العرب وثورة الاتصال الأولى، د. عصام الموسى، ص16.
٢٦- اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، الجزء الثاني، لبنان، د. رياض قاسم، ص 403 وما بعدها، مؤسسة نوفل، بيروت، 1982.
٢٧- انجيل يوحنا، الآية الأولى، والكلمة: تعني المسيح (عليه السلام).
٢٨- الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير، د. خليل أبو جهجه، ص 221-222، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995.
٢٩- قرآن كريم.
٣٠- اللغة، ج. فندريس، ص256.
٣١- الخصائص، ابن جنّي، الجزء الأول، ص13.
٣٢- لسان العرب، ابن منظور، مادة "سلط" ص182-183.
٣٣- قرآن كريم، سورة إبراهيم، أية22.
٣٤- اللغة العربية والإعلام، د. رشاد محمد سالم، بحث ألقي في مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة" (الدورة الأولى)، الذي عقد في بيروت في معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، ص547، بيروت، 2002.

٣٥- سمات الانفتاح والتطور في المحكية العربية المدينية: أنموذج بيروت، د. نادر سراج، بحث ألقي في مؤتمر اللغة العربية في لبنان، ص315-325، منشورات جامعة البلمند، بيروت، 1998

٣٦- لغات التعبير، فاروق المجذوب، ص55-59، دار منيمنة للطباعة والنشر، بيروت، 1994.

٣٧- الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، منذر العياشي، ص125، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998

٣٨- "يارا"، سعيد عقل، مكتبة لبنان، بيروت، 1961.

٣٩- انظر كتاب:"تاريخ سوريا الحضاري: 1- المركز"، د. أحمد داود.

٤٠- آفة اللغة هذا النحو، أحمد الزيات، مجلة "الرسالة"، عدد 23، القاهرة، 1933/7/15، ص13.

٤١- مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد؟، الشيخ الدكتور عبدالله العلايلي، المطبعة العصرية، القاهرة، صدر لأول مرة في العام 1938.

٤٢- انظر مثلاً: "حياة اللغة وموتها: العامية"، الأب مارون غصن، ص 8، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1952، وكتاب:"حقوق اللغة العامية بإزاء اللغة الفصيحة"، الأب لويس شيخو، مجلة المشرق، الجزء23، العدد 3، بيروت، آذار، 1925، ص162.

٤٣- "كلمة غيور على لغته"، أمين الشميّل، مجلة التبكيت والتنكيت، عدد 5، القاهرة، بتاريخ 1981/7/10.

٤٤- "القومية العربية"، أمين ناجي، جريدة العمل (عدد خاص)، بيروت، بتاريخ 1970/11/29،ص49.

٤٥- برنامج أذيع من الإذاعة المرئية MTV(تلفزيون المرّ) واستضاف فيه بعض الشعراء، أذيع البرنامج خلال شهر كانون الأول من سنة 2001.

٤٦- صد ر الكتاب عن دار الثقافة في بيروت في العام 1955 وتجد هذه التسميات على الصفحات: 181-184.

٤٧- المرجع نفسه، ص181.

٤٨- المرجع نفسه، ص181.

٤٩- صدر الكتاب عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت في العام 1962.

٥٠- الصفقة، توفيق الحكيم، ص157-158، منشورات مكتبة الآداب، القاهرة، 1956.

٥١- المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، ص 126-147، جروس برس، طرابلس، لبنانن 1992.

٥٢- قضايا الفن القصصي، يوسف نوفل، ص34، دار النهضة العربية، القاهرة،1977.

٥٣- ديوان الولادة التانية (الثانية بالتاء)، يوسف الخال، المقدمة، منشورات مجلة "شعر" بيروت، 1981.
٥٤- مجلة "شعر"، الافتتاحية، عدد:31-32، بيروت1964.
٥٥- اللغة ليست عقلاً، أحمد حاطوم، ص257، دار الفكر اللبناني، بيروت، دون تاريخ طبع.
٥٦- المرجع نفسه، ص229.
٥٧- برنامج "حوار العمر"، مقابلة أجرتها الإعلامية جيزيل الخوري مع عثمان العمير في المؤسسة اللبنانية للإرسال LBC، أدما، لبنان في 2001/2/4.
٥٨- الإعلام في لبنان وانهيار السلطات اللغوية، أطروحة دكتوراه مخطوطة أعدها نسيم الخوري، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، 2002.
٥٩- يمكن العودة إلى مزيد من الإحصاءات للوسائل الإذاعية المسموعة والمرئية والفضائية إلى "نقابة الصحافة اللبنانية في عدديها الصادرين في 6أيار مايو 1987 و1 آذار 1993.
٦٠- ملف الإعلام في لبنان، نسيم خوري، مجلة الدفاع الوطني، مديرية التوجيه في وزارة الدفاع الوطني، العدد 6، تشرين الثاني 1993، بيروت، ص41.
٦١- اللغة العربية والعولمة، صالح بلعيد، مجلة "اللغة العربية"، العدد 4، الجزائر، 2001، ص115.
٦٢- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، مجموعة من المؤلفين، ص13، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 1982.
٦٣- "قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث"، عواطف عبدالرحمن، سلسلة كتاب "عالم المعرفة"، العدد 78، حزيران 1984، الكويت، ص48.
٦٤- اللغة العربية وتحديات القرن الواحد والعشرين، د. إبراهيم بدران، عن بحث د. عبدالله أبو هيف "اللغة العربية وتحديات العولمة" الذي ألقي في مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة ، بيروت، 2002، ص469.
٦٥- المرجع نفسه، ص469.
٦٦- انظر:"قوانين لبنان، مجموعة النصوص التشريعية والتنظيمية"، دار المنشورات الحقوقية، مكتبة صادر حتى العام 1998.
٦٧- الدستور اللبناني وتعديلاته (1926-1990)، مجلس النواب، 1990.

٦٨- سلسلة الوثائق الأساسية للأزمة اللبنانية، عماد يونس، 5أجزاء، بيروت، بدون تاريخ طبع.
٦٩- الأحزاب في لبنان، نهاد حشيشو، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت 1981.
٧٠- 16 سنة ملعونة من عمر لبنان، جريدة النهار بتاريخ 1992/3/5، بيروت.
٧١- الإصلاح الإعلامي بين الحرية والمسؤولية، محمد السمّاك، محاضرة في ندوة إعادة تنظيم الإعلام في لبنان، فندق الكارلتون، بيروت (17-1991/5/19).
٧٢- أزمة الإعلام الرسمي العربي (النموذج اللبناني)، فكتور سحاب، ص26، دار الوحدة، بيروت، 1985.
٧٣- مؤتمر الحوار الوطني في لوزان المنعقد بين 12-20 آذار، 1984.
٧٤- العربية في لبنان، جامعة البلمند، المقدمة بقلم د. إيلي سالم، منشورات جامعة البلمند، طرابلس، لبنان، 1998.
٧٥- الإعلام الصهيوني والفلتان الأخلاقي، نسيم خوري، ص9، دار اللواء، بيروت، 1999
٧٦- جريدة "النهار"، المؤتمر الصحفي لوزير الإعلام اللبناني ألبير منصور، بتاريخ 1991/9/8.
٧٧- مناقشات الجلسة الثانية من ندوة الكارلتون، غسان تويني، فندق الكارلتون، بيروت، بتاريخ 17-1991/5/19.
٧٨- النهار، بتاريخ 1992/12/24، لبنان.
٧٩- جريدة السفير، بتاريخ 1994/11/10، لبنان.
٨٠- نشر قانون تأسيسه في الصحف اللبنانية كافة، راجع جريدة "السفير" بتاريخ 1994/11/5، لبنان.
٨١- حديث لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، بعنوان "المطالبة بتحريك النيابات العامة ضد الإعلام"، نشر في جريدة البيرق، بيروت، بتاريخ 1994/2/12
٨٢- "دفاعاً عن لغتنا الجميلة"، حسن صبرا، مجلة الشراع، عدد 635، بيروت في 1994/7/4.
٨٣- المطالبة بتحريك النيابات العامة ضد الإعلام، "البيرق"، بيروت في 1994/2/12.
٨٤- جريدة النهار في 2000/2/12، بيروت.
٨٥- الوكالة الوطنية للإعلام، يوم الأحد في 2003/2/16، ص10.

٨٦- تقديم أسعد دياب.

٨٧- تقدمه مجموعة من المذيعات.

٨٨- من مقابلة مع رفيق شلالا مدير الوكالة الوطنية للأنباء أجرتها ليديا ريشا، نشرت في جريدة النهار، بيروت، في 1999/3/15.

٨٩- يذاع بعد ظهر يوم الجمعة، حلقة أذيعت بتاريخ 2003/5/30.

٩٠- يذاع كل يوم جمعة في الساعة الثانية والنصف من إذاعة "صوت الشعب".

٩١- يذاع في الساعة الثامنة والربع صباحاً ويقدمه الشاعر والأديب جورج جرداق من إذاعة "صوت لبنان".

٩٢- يذاع في التاسعة إلا ربعاً صباحاً.

٩٣- يذاع في العاشرة صباحاً.

٩٤- يذاع في الثامنة والنصف صباحاً ويقدمه الشيخ جمال بشاشة.

٩٥- يذاع في الساعة الحادية عشرة والربع صباحاً.

٩٦- يذاع في الساعة الواحدة والربع ظهراً.

٩٧- يذاع في الساعة العاشرة صباحاً.

٩٨- يذاع في الساعة الرابعة عصراً.

٩٩- برنامج أذيع من إذاعة البشائر في الثانية عشرة ظهراً من يوم الثلاثاء بتاريخ 2003/5/27، وهو من تقديم فاطمة حجازي.

١٠٠- يقدمه ريمون جبارة من إذاعة "صوت لبنان".

١٠١- يقدّمه ويعدّه ربيكا أبو ناضر هندي من "صوت لبنان".

١٠٢- يقدّمه طوني نصّار يومياً من الصباح حتى ما بعد الظهر.

١٠٣- تقدمه وفاء عبدالملك كلّ أربعاء.

١٠٤- كسروان: منطقة في جبل لبنان.

١٠٥- يذاع صباح كل سبت.

١٠٦- جاء هذا الكلام على لسان مدير البرامج في إذاعة لبنان الحرّ في مقابلة معه بتاريخ 2003/4/14.

١٠٧- في مقابلة مع الإعلامية هلا المرّ مديرة إذاعة "راديو سكوب" بتاريخ 1999/4/12 ، أذيع من إذاعة جبل لبنان يوم كانت مديرة لها.

١٠٨- الرسميون ومعضلة تلفزيون لبنان، جو سعادة، رئيس تحرير الأخبار في تلفزيون لبنان، جريدة النهار، بيروت 1999/7/26.

١٠٩- برنامج يذاع يومياً من الصباح حتى الظهر ولا يزال حتى اليوم.

١١٠- كلام قيل في مقابلة أجرتها كاتيا شر مع دوللي غانم إحدى المذيعات الرئيسية في LBCI بتاريخ 1999/4/24.

١١١- يذاع في الساعة التاسعة والنصف من مساء الثلاثاء.

١١٢- حلقة أذيعت في التاسعة والنصف مساء بتاريخ 2003/5/27.

١١٣- وهو من إعداد وتقديم جيزيل خوري.

١١٤- عن مقال، بعنوان:"آسيبويه، لم تنتحر يومياً لفصحى تلفزيوناتنا المحلية"، بقلم جنى نصر الله، جريدة النهار، بيروت، بتاريخ 1999/9/13، ص17.

١١٥- يذاع مساء كل خميس في الساعة التاسعة والنصف.

١١٦- تقديم د. زياد نجيم.

١١٧- أذيع من مرئية LBC في الساعة الثالثة والنصف ظهر يوم الاثنين الواقع في 2003/5/2، من إعداد وتنفيذ روني سعادة.

١١٨- عرض الشريط على شاشة lbc في الساعة العاشرة مساء بتاريخ 2003/2/10.

١١٩- نص المقابلة التي أجراها إدغار جلاد مع السفير الأميركي في لبنان فنسنت باتل في الساعة العاشرة مساء من يوم الثلاثاء في 2003/5/27.

١٢٠- أذيعت هذه الحلقة في الساعة الثانية من بعد ظهر الاثنين الواقع في 2003/6/2.

١٢١- العربية في لبنان، منشورات جامعة البلمند، بيروت 1998، ص319.

١٢٢- يذاع من تلفزيون لبنان في الفترة الصباحية وحتى منتصف النهار.

١٢٣- برنامج "خليك بالبيت"، الذي يقدّمه الشاعر زاهي وهبي في الساعة التاسعة والنصف من مساء كل يوم ثلاثاء، وهذه الحلقة أذيعت بتاريخ 2003/5/27.

١٢٤- وكان في تلك الحلقة صاحب السموّ الملكي خالد الفيصل، شاعر وأديب ورئيس مؤسسة الفكر العربي.

١٢٥- يذاع البرنامج من شاشة المستقبل، في التاسعة والنصف من مساء كل يوم جمعة، ويقدّمه ميشال القزي المعروف باسم "ميشو".

١٢٦- برنامج يعدّه ويقدّمه خضر الموسوي.. يقوم على استضافة علماء الدين والمفكرين الأكثر بروزاً، ويستقبل مشاركات المشاهدين عبر الطرق الاتصالية المختلفة ويتناول المشكلات المعاصرة من وجهة نظر إسلامية.

١٢٧- يعدّه محمود دهيني ويقدّمه حكم أمهر.. يهتم بخطب الجمع في مختلف أقطار العالم الإسلامي ويقدم مقتطفات منها بفصحاها السليمة.

١٢٨- يعدّه عبدالحليم محمود وفاطمة بدير وتقدمه الأخيرة، ويهتم بالفكر والثقافة والعلم والأدب، يستضيف أصحاب هذا الاهتمام.. ويؤدي بالفصحى الخالصة..

١٢٩- ربما كانت هذه اللفظة من الأجنبية من النوادر، إذ لا تستعمل هذه المحطة الأجنبية في حديثها.

١٣٠- أذيعت في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء بتاريخ 2003/2/10.

١٣١- الإعلام في لبنان وانهيار السلطة اللغوية، د. نسيم الخوري، ص424.

١٣٢- ندوة القاهرة حول:"التلفزيون الوطني في مواجهة الفضائيات الخاصة، مداخلة عدنان العوالمة"مدير المركز العربي للخدمات السمعية-البصرية في عمّان، صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ 1997/3/6.

١٣٣- أذيع في الحادية عشرة والنصف ليلاً من الفضائية المصرية بتاريخ 2003/5/28.

١٣٤- "القنوات الفضائية وإمكانية الاستفادة منها في نشر الثقافة العربية والإسلامية والتعريف بالحضارة العربية"، محمد عبدالكافي، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، ندوة عمان، بالتعاون مع مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان، تشرين الأول 1997، (صدرت دراستها ووقائعها في كتاب عن المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم في تونس 1998).

١٣٥- يذاع من شاشة إذاعة المستقبل المرئية الفضائية في الساعة التاسعة من مساء كل يوم أحد.

١٣٦- العلاقة العامة والإعلام في منظور علم الاجتماع، د. حسين رشوان، ص272، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997.

١٣٧- الإعلان وتأثيره في اللغة العربية، د. عصام نور الدين، بحث مقدّم إلى مؤتمر اللغة العربية في دمشق بتاريخ 26-1997/10/29.
١٣٨- أزمة الإعلام العربي الرسمي (الأنموذج اللبناني)، فكتور سحاب، ص19، دار الوحدة ، بيروت، 1985.
١٣٩- الإعلام في لبنان وانهيار السلطات اللغوية، د. نسيم خوري، ص466-467-472.
١٤٠- المرجع نفسه، ص473.
١٤١- على مرئية LBC، تقديم مارسيل غانم.
١٤٢- على مرئية المستقبل، تقديم زافين.
١٤٣- على مرئية تلفزيون لبنان (برنامج منوّع، ثقافي، حوارات، ومقابلات).
١٤٤- على مرئية المستقبل (برنامج منوّع، مقابلات، أبراج، حوارات...).
١٤٥- على مرئية المستقبل، تقديم زاهي وهبي.
١٤٦- على مرئية LBC ، تقديم جيزيل خوري.
١٤٧- على مرئية LBC، تقديم زياد نجيم.
١٤٨- على مرئية LBC.
١٤٩- على مرئية المستقبل، تقديم جورج قرداحي.
١٥٠- على مرئية المستقبل، تقديم ميشال قزي (أصه تعني قصة).
١٥١- مرئية تلفزيون لبنان.
١٥٢- مرئية LBC.
١٥٣- مرئية المستقبل.
١٥٤- مرئية المستقبل تقديم ميشال القزي.
١٥٥- مرئية LBC.
١٥٦- من مرئية المستقبل، الساعة الثالثة من بعد ظهر الاثنين بتاريخ 2003/6/2، نشرة الأخبار.
١٥٧- مرئية LBC.
١٥٨- مرئية MTV.
١٥٩- مرئية المستقبل.

١٦٠- أذيع البرنامج في الساعة التاسعة والنصف مساءً من مرئية LBC الفضائية (يقدّم البرنامج مارسيل غانم، بتاريخ 2003/5/29.

١٦١- التنمية الثقافية للطفل العربي، د. عبدالله أبو هيف، ابتداء من ص 224، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

١٦٢- خطاب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد لحود في القمة العربية في عمّان كان بالعامّية اللبنانية.

١٦٣- راجع كتاب الإعلام: قراءة في الإعلام المعاصر والإسلامي، د. محمد منير سعد الدين، دار بيروت المحروسة، بيروت، 1998.

١٦٤- من مقال للدكتور رشاد سالم، بعنوان "اللغة العربية والإعلام" قدّم إلى مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة" الذي عقد في بيروت في المعهد الجامعي للدراسات الإسلامية بتاريخ 7-2002/4/8، ص576.

١٦٥- المرجع نفسه، ص580.

١٦٦- تشويه العقل العربي، حسن عبد الباري عصر، ص212، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1999.

١٦٧- انظر: "الثقافة العربية وعصر المعلومات"، د. نبيل علي، سلسلة "عالم المعرفة" الكويت، 2001.

١٦٨- مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، مجموعة باحثين، من بحث بعنوان "اللغة العربية وتحديات القرن الواحد والعشرين"، إبراهيم بدران، ص358،-359، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001.

١٦٩- "قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث"، عواطف عبدالرحمن، سلسلة كتاب "عالم المعرفة"، العدد 78، حزيران 1984، ص84.

١٧٠- اتقوا التاريخ أيها العرب، مقال للمحلل السياسي عبداللطيف الغزاني (اللغة العربية إحدى لغات المستقبل)، جريدة الصباح، تونس، تموز 1997.